وزارة المعارف العموميّة استعمال هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

القراءة الرشيدة

الجزء الثاني

تأليف

عبد الفتاح صبري بك و علي عمر بك

وكيل وزارة المعارف العمومية سكرتير الجامعة المصرية العام

(الطبعة الثامنة والعشرون سنة ١٩٤٩)

ارف بمصر

...مارف العمومية استعمال هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

القراءة الرشيدة

الجزء الثاني

تأليف

عبد الفتاح صبري بك و علي عمر بك

وكيل وزارة المعارف العمومية — سكرتير الجامعة المصرية العام

الطبعة الثامنة والعشرون (سنة ١٩٤٥)

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسائر النبيين

وبعد فان الزمان قد دار وسار وهبّ الكل يطلب العلم للصغار والكبار ولما كان أولى المسائل بالاهتمام والعناية تعليم القراءة والكتابة وشيء مما فى الدنيا من آيات الله . أنشأنا هذه الكتب الأربعة أساسها التدرّج وسهولة الأخذ وبناؤها على أحسن أساليب التربية وحالة نشوء المدارك وتطورها ورجاؤنا من المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها سديدة الخطى رشيدة الغاية انه ولى التوفيق

عبد الفتاح صبرى على عمر

١ — جَزَاءُ ٱلصِّدْقِ

قَدَرْتُ   مُولَعٌ   ٱلْعِوَضُ   ٱلْحَصْدُ
ٱلتَّلَفُ   حَاصِلٌ   قَصَّ

ذَهَبَ فَلَّاحٌ إِلَى جَارٍ لَهُ غَنِيٍّ مُولَعٍ بِالصَّيْدِ ، وَشَكَا إِلَيْهِ مَا أَصَابَ ٱلْقَمْحَ فِي حَقْلِهِ مِنَ ٱلتَّلَفِ ، بِسَبَبِ كَثْرَةِ دُخُولِ كِلَابِهِ فِيهِ .

فَقَالَ ٱلْجَارُ : « حَقِيقَةً يَا صَاحِبِي ، كَثِيراً مَا نَزَلَتْ كِلَابِي فِي حَقْلِكَ ، وَرُبَّمَا سَبَّبَتْ شَيْئاً مِنَ ٱلتَّلَفِ ، وَأَنَا مُسْتَعِدٌّ لِتَعْوِيضِ خَسَارَتِكَ » .

فَقَالَ ٱلْفَلَّاحُ : « لَمَّا رَأَيْتُ مَا حَلَّ بِأَرْضِي مِنَ ٱلتَّلَفِ ، دَعَوْتُ صَدِيقًا لِي لِتَقْدِيرِ ٱلْخَسَارَةِ ، وَنَرَى أَنَّهَا تَبْلُغُ ثَلَاثِينَ جُنَيْهاً » . فَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلسَّرِيُّ مَا طَلَبَ مِنَ ٱلْعِوَضِ .

وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ ٱلْحَصْدِ ، وَجَدَ ٱلْفَلَّاحُ أَنَّ ٱلْجُزْءَ ٱلَّذِي ظَنَّهُ تَالِفاً أَتَى بِأَحْسَنِ حَاصِلٍ . فَذَهَبَ إِلَى ٱلسَّرِيِّ ، وَأَعْلَمَهُ

بِحَقِيقَةِ ٱلْحَالِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ أَتَى لِرَدِّ ٱلْمَبْلَغِ ، لِأَنَّهُ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَقًّا فِيهِ .

فَقَالَ ٱلسَّرِيُّ : « هَذَا مَا يَنْبَغِي بَيْنَ ٱلرَّجُلِ وَٱلرَّجُلِ » . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى ، وَعَادَ وَمَعَهُ خَمْسَةُ أَمْثَالِ ٱلْمَبْلَغِ ، وَقَدَّمَهُ إِلَى ٱلْفَلَّاحِ قَائِلاً : « اِدَّخِرْ هَذَا ٱلْمَبْلَغَ ، حَتَّى يَصِيرَ عُمُرُ ٱبْنِكَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَإِذْ ذَاكَ سَلِّمْهُ إِلَيْهِ ، وَقُصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ » .

٢ — ٱلْخُفَّاشُ

يَطُوفُ	يَا تُرَى	ٱلثَّدْيُ
يُنْشِبُ	ٱلْجُرْذَانُ	يَمْتَصُّ

يَطِيرُ فِي ٱللَّيْلِ حَيَوَانٌ شَبِيهٌ بِالطَّيْرِ ، لَا صَوْتَ لَهُ وَلَا لِطَيَرَانِهِ ، وَيَدْخُلُ ٱلْبُيُوتَ أَحْيَانًا فَيَطُوفُ بِكُلِّ ٱلْغُرَفِ ، وَإِذَا وَجَدَ نُوراً خَرَجَ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ . فَمَا هُوَ هَذَا ٱلْحَيَوَانُ يَا تُرَى ؟
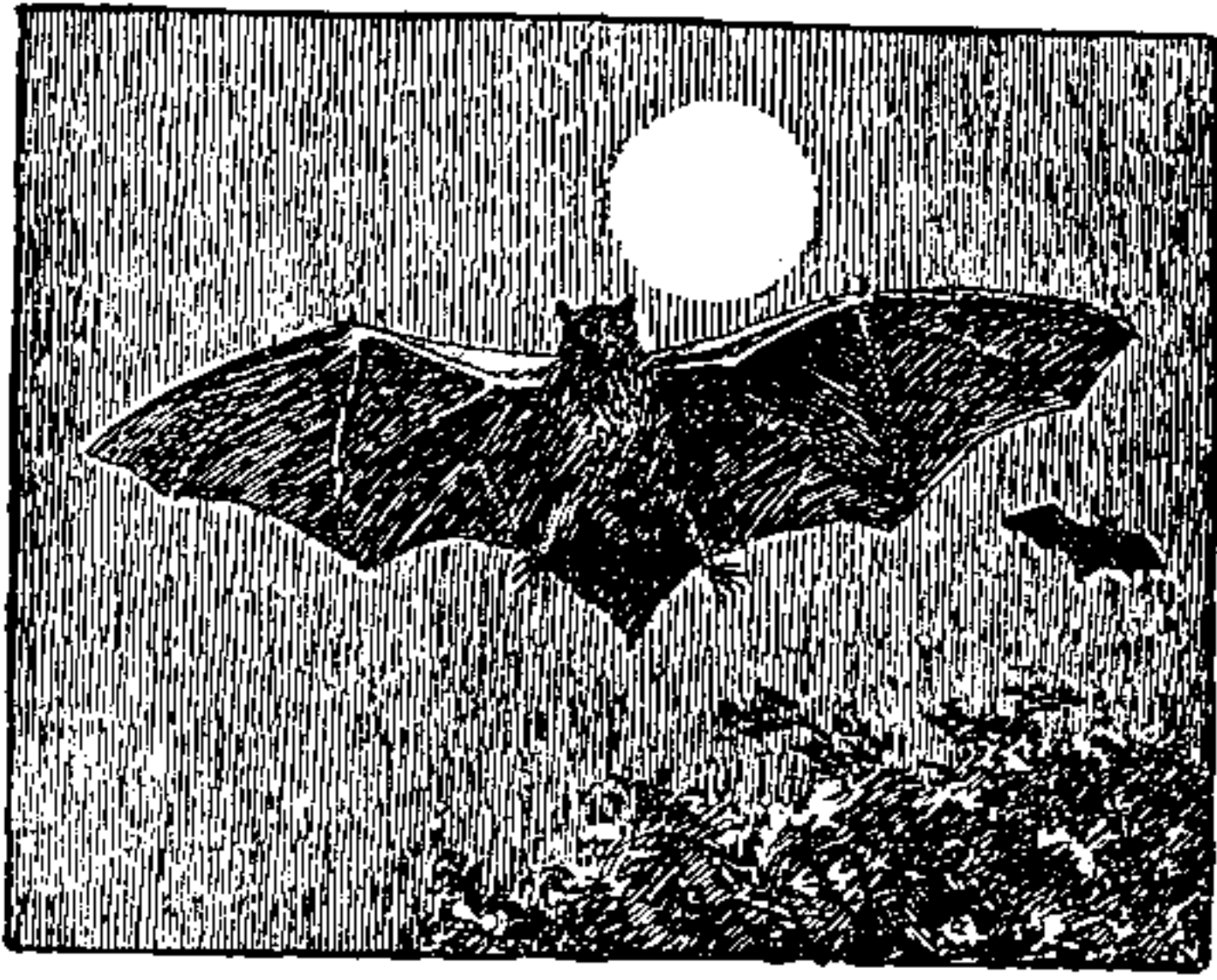
هَذَا هُوَ ٱلْخُفَاشُ . لَهُ أَجْنِحَةٌ مِنْ جِلْدٍ رَقِيقٍ مَتِينٍ وَلَا رِيشَ فِيهِ . وَيَلِدُ أَوْلَادَهُ وَيُرْضِعُهَا مِنْ لَبَنِهِ . فَهُوَ بِذَلِكَ لَيْسَ بِطَائِرٍ ، بَلْ هُوَ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ذِي ٱلثَّدْيِ . وَهَذَا ٱلْحَيَوَانُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِاللَّيْلِ ، لِأَنَّ ضَوْءَ ٱلنَّهَارِ يُؤْذِي عَيْنَيْهِ فَلَا يُبْصِرُ . وَلَـكِنَّهُ حَادُّ ٱلسَّمْعِ . وَلَهُ أُذُنَانِ كَبِيرَتَانِ لِذَلِكَ . وَقَدَمَاهُ فِيهِمَا أَصَابِعُ وَأَظْفَارٌ مُتَقَوِّسَةٌ ، يُنْشِبُهَا فِي خَشَبَةٍ أَوْ غُصْنِ شَجَرَةٍ يَتَعَلَّقُ ، بِهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ . وَمِنَ ٱلْخَفَافِيشِ مَا يُشْبِهُ ٱلثَّعْلَبَ فِي وَجْهِهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى ٱلثَّعْلَبَ

ٱلطَّائِرَ ، وَغِذَاؤُهُ ٱلْجِرْذَانُ وَنَحْوُهَا . وَمِنْهَا مَا يَتَغَذَّى بِٱلذُّبَابِ وَٱلْحَشَرَاتِ ٱلصَّغِيرَةِ ، وَمِنْهَا مَا يَأْكُلُ ٱلْفَاكِهَةَ ، وَمِنْهَا مَا يَمْتَصُّ دَمَ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ .

٣ — ٱلْبُنُّ وَٱلْقَهْوَةُ

أَثْمَارٌ	أَلْقَى	غِلَافٌ
شَحَنَ	يُقْلَى	مَزْرَعَةٌ

ٱلْقَهْوَةُ ٱلَّتِي نَشْرَبُهَا فِي بُيُوتِنَا ، وَنُقَدِّمُهَا لِلضُّيُوفِ ، تُصْنَعُ مِنَ ٱلْبُنِّ .

وَٱلْبُنُّ ثَمَرُ شَجَرَةٍ لَا يَبْلُغُ ٱرْتِفَاعُهَا أَرْبَعَةَ أَمْتَارٍ ، لَهَا وَرَقٌ كَبِيرٌ أَخْضَرُ ، وَزَهْرٌ أَبْيَضُ يُشْبِهُ زَهْرَ ٱلْيَاسَمِينِ .

وَهِىَ تَنْبُتُ فِى كَثِيرٍ مِنْ جِهَاتِ ٱلدُّنْيَا ، مِثْلِ بِلَادِ ٱلْعَرَبِ ، وَأَمْرِيقَا ٱلْجَنُوبِيَّةِ ، وَبِلَادِ ٱلْحَبَشَةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ ٱلْأَقْطَارِ .

وَمَتَى آنَ أَوَانُ إِثْمَارِهَا ، أَلْقَتِ ٱلشَّجَرَةُ أَزْهَارَهَا ، وَظَهَرَتْ مَكَانَهَا حُبُوبٌ مُتَجَمِّعَةٌ ، كُلُّ ٱثْنَتَيْنِ مِنْهَا فِى غِلَافٍ صُلْبٍ أَخْضَرَ . وَمَتَى جَفَّتْ هٰذِهِ ٱلْحُبُوبُ ، جُمِعَتْ ثُمَّ دُقَّتْ لِإِخْرَاجِهَا مِنْ غُلُفِهَا ، وَوُضِعَتْ فِى غَرَائِرَ تُحْمَلُ عَلَى عَجَلَاتٍ ، كَمَا تَرَى فِى صُورَةِ مَزْرَعَةِ ٱلْبُنِّ ، ثُمَّ تُشْحَنُ لِتُرْسَلَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ ٱلدُّنْيَا لِلتِّجَارَةِ .

وَلِأَجْلِ عَمَلِ ٱلْقَهْوَةِ ، يُقْلَى ٱلْبُنُّ عَلَى نَارٍ ضَعِيفَةٍ ، وَيُحَرَّكُ وَيُقَلَّبُ ، حَتَّى يَصِيرَ أَسْوَدَ ضَارِبًا إِلَى ٱلْحُمْرَةِ . وَبَعْدَ أَنْ يَبْرُدَ يُطْحَنُ حَتَّى يَصِيرَ نَاعِمًا . وَيُوضَعُ قَلِيلٌ مِنْهُ عَلَى مَاءٍ مُغْلًى فَيَخْتَلِطُ بِهِ . وَيَكُونُ طَعْمُ ٱلْقَهْوَةِ مُرًّا . وَأَحْيَانًا

تُحْلَى بِإِضَافَةِ شَىْءٍ مِنَ ٱلسُّكَّرِ عَلَيْهَا .

وَلاَ تُقَدَّمُ ٱلْقَهْوَةُ لِلضُّيُوفِ عَادَةً إِذَا كَانُوا صِغَاراً .
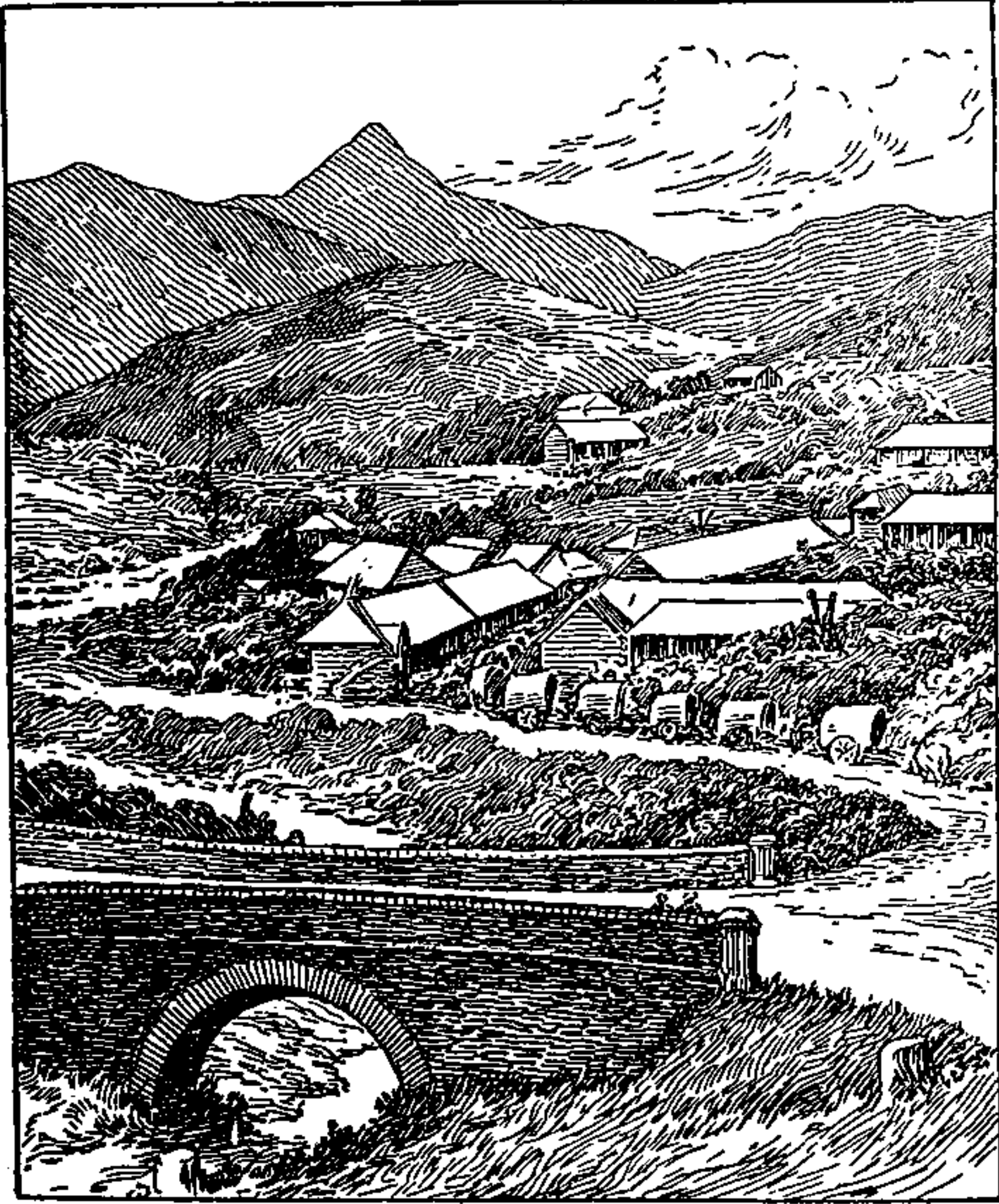
٤ ـ اَلْأَدَبُ أَسَاسُ ٱلنَّجَاحِ

أَعْلَنَ	اِخْتِيَارٌ	الْمِسْحَةُ	مُنْتَظِمٌ
لَبِثَ	يُدَافِعُ	مُتَوَاضِعٌ	أَفْضَلُ

أَعْلَنَ تَاجِرٌ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَخْدِمَ عِنْدَهُ شَابًّا كَاتِبًا . فَتَقَدَّمَ لِهَذِهِ ٱلْوَظِيفَةِ عَدَدٌ مِنَ ٱلشُّبَّانِ غَيْرُ قَلِيلٍ ، وَحَضَرُوا لِمُقَابَلَتِهِ فِي سَاعَةٍ مُعَيَّنَةٍ . فَكَانَ ٱلتَّاجِرُ يَدْعُوهُمْ إِلَى مَكْتَبِهِ وَاحِداً وَاحِداً ، وَيُحَادِثُهُمْ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ، لِيَعْلَمَ مِقْدَارَ فِطْنَتِهِمْ وَآدَابِهِمْ . وَأَخِيراً ٱخْتَارَ أَحَدَهُمْ بَعْدَ مُحَادَثَةٍ قَصِيرَةٍ . فَاسْتَغْرَبَ هَذِهِ ٱلسُّرْعَةَ صَدِيقٌ لَهُ كَانَ حَاضِراً ، وَقَالَ لَهُ : « عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَنَيْتَ ٱخْتِيَارَكَ هَذَا ٱلشَّابَّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُحَادِثْهُ إِلاَّ قَلِيلاً ؟ » .

فَقَالَ : « إِنَّهُ مَسَحَ نَعْلَيْهِ عَلَى ٱلْمِسْحَةِ عِنْدَ دُخُولِهِ ، وَأَقْفَلَ ٱلْبَابَ بِلُطْفٍ وَسُكُونٍ ، فَفَهِمْتُ أَنَّهُ نَظِيفٌ وَمُنْتَظِمٌ . ثُمَّ أَشَارَ إِلَيَّ بِٱلسَّلَامِ ، وَجَاوَبَنِي بِنَشَاطٍ وَٱحْتِرَامٍ ،

فَفَهِمْتُ أَنَّهُ حَسَنُ ٱلْأَدَبِ . وَقَدْ لَبِثَ يَنْتَظِرُ دَوْرَهُ ، وَلَمْ يُدَافِعْ غَيْرَهُ لِلْحُضُورِ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَفَهِمْتُ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ . وَمَتَى ٱجْتَمَعَتْ هَذِهِ ٱلصِّفَاتُ فِي شَخْصٍ ، كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ سِـــوَاهُ » .

٥ ـ اَلْعَنْـــدَلِيبُ (١)

أَدْكَنُ وَجَّهَ اَلْبُلْبُلُ يُغَرِّدُ اَلْغَرَدُ

عَدِيلَةُ بِنْتٌ سِنُّهَا ثَمَانِى سَنَوَاتٍ . وَكَانَتْ تُحِبُّ الطُّيُورَ وَتَمِيلُ إِلَى اللَّعِبِ مَعَهَا . فَكَانَ أَبُوهَا لِذَلِكَ يُرْسِلُهَا مَعَ أَخِيهَا الْكَبِيرِ إِلَى جُنَيْنَةِ الْحَيَوَانَاتِ ، لِتَرَى كَثِيراً مِنْهَا .

فَرَأَتْ ذَاتَ يَوْمٍ طَائِراً هُنَاكَ ، أَعْجَبَهَا شَكْلُهُ الْجَمِيلُ . وَهُوَ صَغِيرُ الْجِسْمِ ، لَهُ رَأْسٌ وَذَنَبٌ أَسْوَدَانِ ، أَمَّا ظَهْرُهُ فَأَزْرَقُ أَدْكَنُ ، وَكَذَلِكَ صَدْرُهُ . فَوَجَّهَتْ عَدِيلَةُ نَظَرَ أَخِيهَا إِلَى هَذَا الطَّائِرِ الْجَمِيلِ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَهَا بِشَىْءٍ عَنْهُ . فَقَالَ لَهَا « أَنْتِ تَعْرِفِينَهُ يَا عَدِيلَةُ وَتَعْرِفِينَ اسْمَهُ » . فَذَكَرَتْ لَهُ أَسْمَاءَ طُيُورٍ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ تَأْتِ بِاسْمِ ذَلِكَ الطَّائِرِ . وَأَخِيراً قَالَ لَهَا : « هُوَ الْعَنْدَلِيبُ يَا عَدِيلَةُ » . فَقَالَتْ « أَنَا لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ الْآنَ ، وَلِذَلِكَ لَا أَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئاً » . فَقَالَ : « لِهَذَا الطَّائِرِ اسْمٌ آخَرُ هُوَ الْبُلْبُلُ » .

فَتَهَلَّلَتْ عَدِيلَةُ فَرَحاً وَقَالَتْ : « نَعَمْ سَمِعْتُ هَذَا الِاسْمَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ اسْمُ طَائِرٍ مِنْ طُيُورِ الْغَرَدِ ، فَلِمَاذَا لَا يُغَرِّدُ ؟ »

٦ — اَلْعَنْدَلِيبُ (٢)

هَزُلَ	أَلْحَانٌ	اَلْمُطْرِبَةُ
يَسْتَوْقِفُ	تَوَارَى	أَوَاسِطُ

عِنْدَ مَا سَمِعَ اَلْأَخُ سُؤَالَ عَدِيلَةَ قَالَ لَهَا : « اَلْعَنْدَلِيبُ لاَ يُغَرِّدُ اَلآنَ لِأَنَّهُ مَحْبُوسٌ فِي اَلْقَفَصِ . وَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ اَلزَّمَانُ وَهُوَ مَحْبُوسٌ ، هَزُلَ جِسْمُهُ وَرُبَّمَا مَاتَ » .

فَقَالَتْ عَدِيلَةُ : « إِذَنْ مَتَى وَأَيْنَ نَسْمَعُ أَلْحَانَهُ اَلْمُطْرِبَةَ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ . لِأَنَّ وَالِدِي أَخْبَرَنِي يَوْماً أَنَّهُ يَسْتَوْقِفُ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ بِجَمَالِ صَوْتِهِ » . فَقَالَ أَخُوهَا : « هُوَ لاَ يُغَرِّدُ إِلاَّ إِذَا تَوَارَى عَنِ اَلْأَنْظَارِ ، عَلَى غُصُونِ اَلْأَشْجَارِ . وَتَغْرِيدُهُ فِي اَلصَّبَاحِ أَكْثَرُ وَأَحْلَى مِنْ تَغْرِيدِهِ فِي اَلنَّهَارِ . وَهُوَ يُهَاجِرُ مِنْ بِلاَدِنَا فِي أَوَاسِطِ اَلرَّبِيعِ ، وَيَذْهَبُ شَمَالاً إِلَى بِلاَدِ اَلرُّوسِ وَاَلْأَلْمَانِ ، وَيُفْرِخُ هُنَاكَ ثُمَّ يَعُودُ فِي أَوَاسِطِ الصَّيْفِ » .

فَسُرَّتْ عَدِيلَةُ مِنَ ٱلزِّيَارَةِ ، وَشَكَرَتْ أَخَاهَا عَلَيْهَا ، وَوَدَّتْ لَوْ سَمِعَتِ ٱلْعَنْدَلِيبَ يُغَنِّي ! وَبَعْدَ عَوْدَتِهَا إِلَى ٱلدَّارِ ، أَخْبَرَتْ أَبَاهَا وَأُمَّهَا بِكُلِّ مَا رَأَتْ وَمَا عَامَتْ ، وَشَكَرَتْ لِأَخِيهَا مَا لَقِيَتْ مِنْهُ مِنَ ٱللُّطْفِ ، وَمِنْ رَغْبَتِهِ فِي تَعْلِيمِهَا .

٧ — اَلْحَمَامَةُ وَٱلنَّمْلَةُ

جَدْوَلٌ زَلَّ اَلسِّبَاحَةُ تُظَلِّلُ مِثْقَالٌ
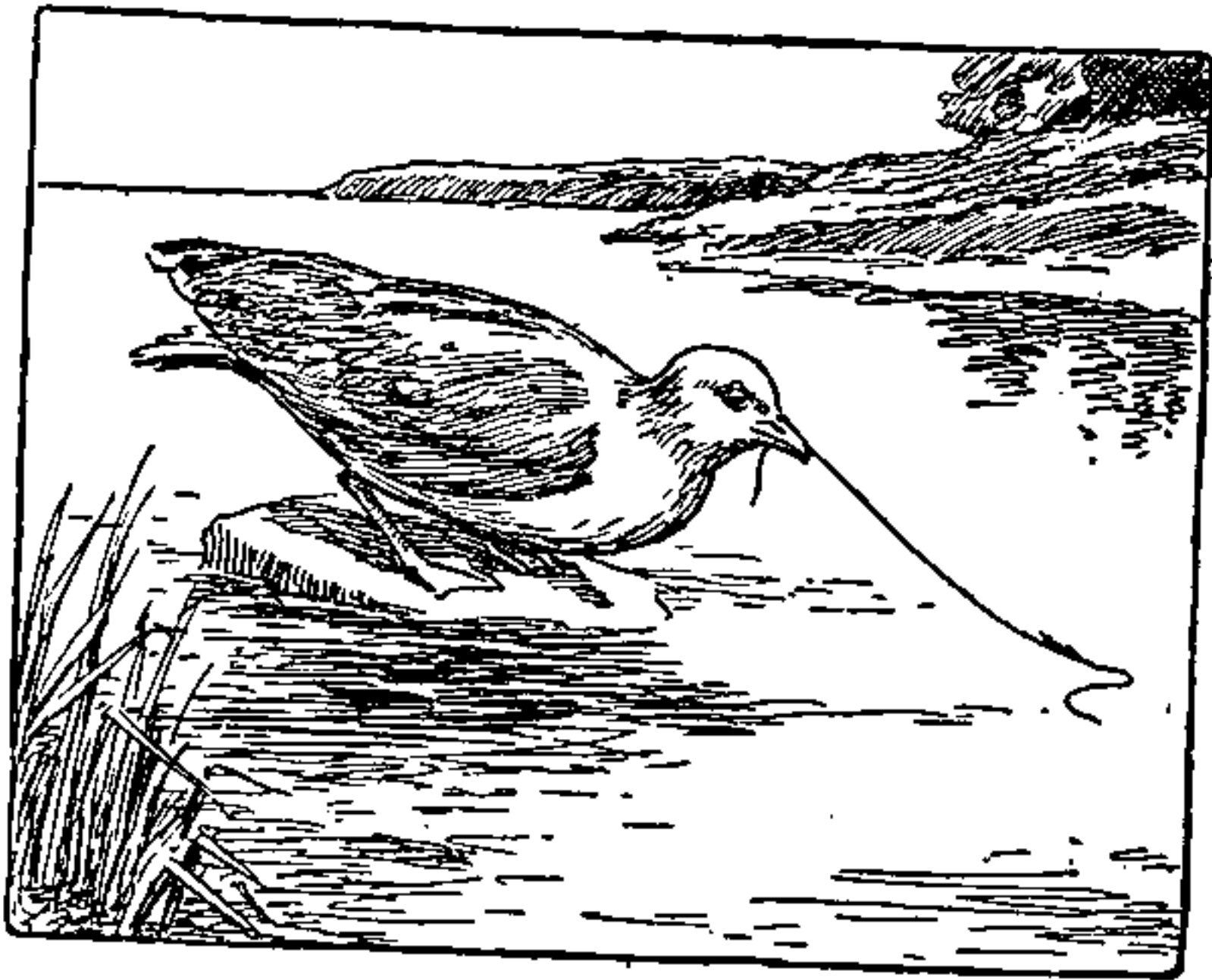
ذَهَبَتْ نَمْلَةٌ صَغِيرَةٌ إِلَى جَدْوَلِ مَاءٍ لِتَشْرَبَ وَتَسْتَرِيحَ ، بَعْدَ أَنْ تَعِبَتْ كَثِيراً فِي جَمْعِ قُوتِهَا . فَزَلَّتْ قَدَمُهَا وَسَقَطَتْ

فِي الْمَاءِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهَا الْخُرُوجُ مِنْهُ ، لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ السِّبَاحَةَ وَكَادَتْ تَغْرَقُ .

وَكَانَتْ حَمَامَةٌ بَيْضَاءُ جَمِيلَةٌ وَاقِفَةً عَلَى حَجَرٍ فِي الْمَاءِ ، وَرَأَتْ مَا حَصَلَ لِلنَّمْلَةِ . فَرَقَّ لَهَا قَلْبُهَا وَسَعَتْ فِي خَلَاصِهَا ، فَطَارَتْ إِلَى الْبَرِّ وَرَجَعَتْ ، وَفِي مِنْقَارِهَا عُودٌ مِنَ الْحَشِيشِ ، مَدَّتْهُ عَلَى الْمَاءِ إِلَى الْبَرِّ . فَتَعَلَّقَتْ بِهِ النَّمْلَةُ وَخَرَجَتْ مِنَ الْمَاءِ بِسَلَامٍ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، نَزَلَتِ الْحَمَامَةُ عَلَى فَرْعِ شَجَرَةٍ تَتَظَلَّلُ بِأَوْرَاقِهَا . فَمَرَّ صَيَّادٌ مِنْ بُعْدٍ وَرَآهَا . فَوَقَفَ يُصَوِّبُ بُنْدُقِيَّتَهُ نَحْوَهَا لِيَصِيدَهَا ، وَهِيَ لَمْ تَرَهُ فَتَطِيرَ . وَلَكِنَّ النَّمْلَةَ الَّتِي خَلَّصَتْهَا تِلْكَ الْحَمَامَةُ ، رَأَتِ الصَّيَّادَ وَعَرَفَتْ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَصَعِدَتْ فِي جِسْمِهِ ، وَلَمَّا هَمَّ بِإِطْلَاقِ بُنْدُقِيَّتِهِ ، قَرَصَتْهُ قَرْصَةً شَدِيدَةً أَفْزَعَتْهُ ، فَتَحَرَّكَ فَمَالَتِ الرَّصَاصَةُ وَلَمْ تُصَبِ الْحَمَامَةُ ، بَلْ نَجَتْ جَزَاءَ إِحْسَانِهَا إِلَى النَّمْلَةِ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .

٨ — ٱلنَّحْلَةُ وَٱلزِّنْبَارُ

اَلزِّنْبَارُ رُضَابٌ شَهْدٌ يَشْتَفِي اَلْعَلِيلُ
اَلْعَوِيلُ اِعْتِدَاء اَلشَّقَاء خُدْعَةٌ طُرًّا

الزِّنْبَارُ - أَيُّهَا اُلنَّحْلَةُ مَاذَا يَشْغَلُ اُلنَّاسَ بِحُبِّكْ ؟
إِنَّنِي فِي حُسْنِ شَكْلِي لَسْتُ مَحْبُوباً كَحُبِّكْ
أُنْظُرِي مِنِّي جَمَالاً زَانَهُ لَوْنٌ عَجِيبُ
كَيْفَ لَا يُعْشَقُ مِثْلِي؟ إِنَّ هَذَا لَغَرِيبُ !

النَّحْلَةُ - فِي رُضَابِي حُلْوُ شَهْدٍ يَشْتَفِي مِنْهُ اُلْعَلِيلُ
لَيْسَ لِلزِّنْبَارِ نَفْعٌ فَعَلَامَ ذَا اُلْعَوِيلُ ؟
إِنَّ حُسْنَ اُلشَّكْلِ هَذَا خُدْعَةٌ تَسْتُرُ شَرًّا

كُلُّ خِدَاعٍ ذَمِيمٌ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ طُرًّا
حُسْنُ شَكْلٍ فِيهِ ضَرٌّ أَوْ شُرُورٌ وَٱعْتِدَاءٌ
لَيْسَ يُرْجَى مِنْهُ حُبٌّ بَلْ بِهِ يَأْتِي ٱلشَّقَاءُ

٩ — ٱلْبُومَةُ

أَطَالَ ٱلْقُبَّرَاتُ ثَقْبٌ بَغْتَةً خَفِيفٌ

خَرَجَ فَرِيدٌ مَرَّةً مَعَ أُخْتِهِ سُعَادَ لِلنُّزْهَةِ فِي ٱلْحُقُولِ ، وَكَانَتْ أَصْغَرَ مِنْهُ سِنًّا ، وَأَقَلَّ مِنْهُ مَعْرِفَةً . فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ، رَأَتْ سُعَادُ عَلَيْهَا طَائِرًا ، قَدِ ٱجْتَمَعَتْ حَوْلَهُ عَصَافِيرُ كَثِيرَةٌ تَنْقُرُهُ نَقْرًا شَدِيدًا بِمَنَاقِيرِهَا . فَقَالَتْ لِأَخِيهَا : « مَا هَذَا يَا فَرِيدُ ؟ »

وَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى تِلْكَ ٱلْعَصَافِيرِ . فَتَعَجَّبَ فَرِيدٌ مِنَ ٱلْمَنْظَرِ . وَبَعْدَ أَنْ أَطَالَ ٱلنَّظَرَ بُرْهَةً قَالَ :

« هَذِهِ بُومَةٌ يَا سُعَادُ تَنْفِرُهَا ٱلْقُبَّرَاتُ . لِأَنَّ ٱلْبُومَةَ مِنْ أَكْبَرِ أَعْدَائِهَا » .

فَقَالَتْ سُعَادُ : « لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ ٱلْبُومَةُ مَيِّتَةً . لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقُبَّرِ ، وَتَقْدِرُ أَنْ تَقْتُلَ ٱلْقُبَّرَاتِ ، أَوْ تَطِيرَ لِتَهْرُبَ مِنْهَا » .

فَقَالَ فَرِيدٌ : « لَا يَا سُعَادُ هِيَ حَيَّةٌ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَطِيرُ بِٱلنَّهَارِ ، لِأَنَّ ضَوْءَ ٱلشَّمْسِ شَدِيدٌ عَلَى عَيْنَيْهَا . فَلِذَلِكَ هِيَ لَا تَطِيرُ إِلَّا فِي ٱللَّيْلِ . وَتَخْتَبِئُ طُولَ ٱلنَّهَارِ فِي شَجَرَةٍ أَوْ فِي ثَقْبِ حَائِطٍ ، حَتَّى تَخْتَفِيَ عَنِ ٱلنَّظَرِ » .

فَقَالَتْ سُعَادُ : « وَلِمَاذَا كَانَتِ ٱلْبُومَةُ مِنْ أَكْبَرِ أَعْدَاءِ ٱلْقُبَّرِ ؟ » . فَأَجَابَ فَرِيدٌ : « لِأَنَّهَا تَخْرُجُ فِي ٱللَّيْلِ ، وَتُفَتِّشُ عَلَى ٱلطُّيُورِ ٱلصَّغِيرَةِ وَمِنْهَا ٱلْقُبَّرُ ، فَتَنْزِلُ عَلَيْهَا بَغْتَةً وَتَقْتُلُهَا ، لِأَنَّهَا تَطِيرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْمَعَ حَفِيفٌ لِجَنَاحَيْهَا .

١٠ — مَزِيَّةُ ٱلتَّصْوِيرِ

خَانٌ   يَرْقُبُ   مُضِيفٌ

اِخْتَلَى   عُمَّالٌ   سَلَبَ

كَانَ مُصَوِّرٌ مُسَافِراً وَهُوَ يَحْمِلُ مَبْلَغاً كَبِيراً مِنَ ٱلنُّقُودِ ، فِي كِيسٍ عَلَّقَهُ حَوْلَ عُنُقِهِ . فَنَزَلَ لَيْلاً بِبَلَدٍ لَمْ يَجِدْ فِيهِ خَاناً ، فَأَنْزَلَهُ أَحَدُ ٱلْأَهَالِي ضَيْفاً عِنْدَهُ . وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ يَحْمِلُ ذَلِكَ ٱلْمَالَ ٱلْكَثِيرَ ، لَبِثَ يَرْقُبُهُ حَتَّى نَامَ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ حُجْرَتَهُ يَسْتَرِقُ ٱلْخُطَى لِكَيْلَا يَسْتَيْقِظَ ، وَسَلَبَهُ ٱلْمَالَ ، وَحَمَلَهُ بِلُطْفٍ وَخِفَّةٍ ، وَأَلْقَاهُ فِي ٱلطَّرِيقِ بَعِيداً عَنِ ٱلدَّارِ . وَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَ ٱلرَّجُلُ مِنْ نَوْمِهِ فِي ٱلصَّبَاحِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ فِي ٱلطَّرِيقِ وَلَا مَالَ مَعَهُ . فَذَهَبَ إِلَى ٱلْحَاكِمِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَمْرَهُ . فَسَأَلَهُ ٱلْحَاكِمُ : « أَتَعْرِفُ مَنْ مُضِيفُكَ بِٱلْأَمْسِ ؟ » . فَقَالَ لَا ، وَلَكِنِّي مُصَوِّرٌ مَاهِرٌ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ

اصَوِّرَ لكَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِى كُنْتُ فِيهِ ، فَتَعْرِفَهُمْ أَنْتَ أَوْ عُمَّالُكَ » .

ثُمَّ ٱخْتَلَى ٱلْمُصَوِّرُ فِى غُرْفَةٍ ، وَصَوَّرَ كُلَّ أَعْضَاءِ تِلْكَ ٱلْأُسْرَةِ ٱلْخَائِنَةِ . فَعُرِضَتِ ٱلصُّورَةُ عَلَى ٱلْأَهَالِى فَعَرَفُوهُمْ ، وَجَاءُوا بِهِمْ إِلَى ٱلْحَاكِمِ ، فَأَقَرُّوا بِذَنْبِهِمْ ، وَرَدُّوا ٱلْمَالَ إِلَى صَاحِبِهِ . وَعَاقَبَهُمُ ٱلْحَاكِمُ عِقَاباً شَدِيداً ، لِأَنَّهُمْ خَانُوا مَنِ ٱئْتَمَنَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ .

١١ — أَهْلُ ٱلصِّينِ

فُطْسٌ	مُنْحَرِفَةٌ	يَجْتَذِبُ	يَسْتَرْسِلُ
مُرْسَلَةٌ	فَرَاجِينُ	يَغْمِسُ	عَرَضَ
أَحْذِيَةٌ	يَخْلَعُ	ٱلدُّمَى	بَرْقَشَةٌ

لَيْسَ أَهْلُ ٱلصِّينِ فِى ٱلْخِلْقَةِ كَأَهْلِ مِصْرَ ، لِأَنَّهُمْ صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ ، فُطْسُ ٱلْأُنُوفِ ، وَعُيُونُهُمْ مُنْحَرِفَةٌ ، وَلَكِنْ شَعْرُهُمْ أَسْوَدُ لَامِعٌ يَجْتَذِبُ ٱلْأَنْظَارَ .

وَلَا يُقَصُّ شَعْرُ ٱلْأَطْفَالِ مَا دَامُوا صِغَاراً ، حَتَّى إِذَا كَبِرُوا حَلَقُوا رُءُوسَهُمْ مَا عَدَا وَسَطَهَا ، فَيُبْقُونَ فِيهِ ٱلشَّعْرَ حَتَّى يَطُولَ وَيَسْتَرْسِلَ ، فَيَعْمَلُونَهُ ضَفِيرَةً تَبْقَى مُرْسَلَةً عَلَى ٱلظَّهْرِ ، كَعَادَةِ ٱلنِّسَاءِ فِي بِلَادِنَا . وَفِي ٱلْمَدَارِسِ لَا يَتَّخِذُونَ ٱلْأَقْلَامَ لِلْكِتَابَةِ ، بَلْ يَسْتَعْمِلُونَ فَرَاجِينَ صَغِيرَةً يَغْمِسُونَهَا فِي ٱلْمِدَادِ . وَإِذَا عَرَضَ تِلْمِيذٌ دَرْسَهُ ، وَقَفَ وَأَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْمُعَلِّمِ وَقَرَأَ .

وَتَلْبَسُ ٱلْبَنَاتُ أَحْذِيَةً صَغِيرَةً مِنَ ٱلْحَدِيدِ ، وَلَا يَخْلَعْنَهَا

أَبَدًا ، فَتَكْبَرَ جُسُومُهُنَّ وَلَا تَكْبَرَ مَعَهَا أَقْدَامُهُنَّ . لِأَنَّ الْأَقْدَامَ الْكَبِيرَةَ عِنْدَ أَهْلِ الصِّينِ مِنْ صِفَاتِ الْعَامَّةِ .

هَذِهِ الْعَادَاتُ كَانَتْ شَائِعَةً قَبْلَ الْقَرْنِ الْحَاضِرِ وَلَكِنَّ الثَّوْرَةَ الْأَخِيرَةَ فِي أَوَائِلِ هَذَا الْقَرْنِ أَتَتْ بَعْدَهَا نَهْضَةٌ جَدِيدَةٌ فَزَالَ كَثِيرٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَاتِ الْعَتِيقَةِ وَصَارَ الصِّينِيُّونَ كَسَائِرِ الْبِلَادِ فِي الْمَدَنِيَّةِ وَالْعَادَاتِ .

وَلِأَهْلِ الصِّينِ مَهَارَةٌ فَائِقَةٌ فِي صِنَاعَةِ الدُّمَى ، وَهِيَ الصُّوَرُ مِنَ الْعَاجِ أَوِ الْخَشَبِ ؛ وَفِي النَّقْشِ عَلَى الْوَرَقِ وَالْحَرِيرِ ، وَبَرْقَشَةِ الْآنِيَةِ الصِّينِيَّةِ ، وَالرَّسْمِ عَلَيْهَا بِأَشْكَالٍ بَارِزَةٍ ، تُمَثِّلُ أَحْوَالَهُمْ وَعَادَاتِهِمْ .

١٢ — الْأَمَانَةُ كَنْزٌ

سَرِيٌّ	يَسْتَجْدِي	حَاجَةٌ	الْتَقَطَ	مُعْجَبٌ
الْكِرَاءِ	الْحِيَاكَةُ	مُحَاكَةٌ	رَاتِبٌ	رَغَدٌ

تَقَدَّمَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى سَرِيٍّ مَارٍّ بِهِ ، وَاسْتَجْدَاهُ شَيْئًا مِنَ الْعَطَاءِ يَسُدُّ بِهِ حَاجَتَهُ . فَأَعْطَاهُ قِرْشًا ، فَأَخَذَهُ الْوَلَدُ شَاكِرًا ، وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ عَلَى مَا جَادَ بِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ .

وَلَمَّا ٱبْتَعَدَ ٱلسَّرِيُّ مِنَ ٱلصَّبِيِّ خَطَوَاتٍ، سَقَطَ كِيسُ نُقُودِهِ، وَرَآهُ ٱلْغُلَامُ وَهُوَ يَسْقُطُ. فَمَشَى وَٱلْتَقَطَهُ وَجَرَى نَحْوَ ٱلسَّرِيِّ مُسْرِعًا، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلًا: «هَذَا كِيسُ نُقُودِكَ يَا سَيِّدِي سَقَطَ مِنْكَ، فَٱلْتَقَطْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَيْكَ».

فَأَخَذَ ٱلسَّيِّدُ مِنْهُ ٱلْكِيسَ مُعْجَبًا بِأَمَانَةِ غُلَامٍ فَقِيرٍ مِثْلِهِ، وَقَالَ: «أَتُحِبُّ يَا بُنَيَّ أَنْ تَكُونَ مُكَافَأَتُكَ مِنِّي عَلَى أَمَانَتِكَ، أَنْ أُعْطِيَكَ نُقُودًا أَوْ أَجِدَ لَكَ عَمَلًا. فَقَالَ ٱلصَّبِيُّ: «اَلْعَمَلُ يَا سَيِّدِي لِكَسْبِ ٱلْعَيْشِ، خَيْرٌ مِنْ نُقُودٍ آخُذُهَا فَتَنْفَدُ سَرِيعًا وَتَبْقَى حَاجَتِي». فَسَرَّ ٱلسَّرِيَّ إِجَابَتُهُ، كَمَا سَرَّتْهُ أَمَانَتُهُ، وَأَخَذَهُ تِلْمِيذًا بِٱلْكِرَاءِ يَتَعَلَّمُ ٱلْحِيَاكَةَ فِي مَحَاكَةٍ لَهُ. وَبَعْدَ سِنِينَ قَلَائِلَ، صَارَ ذَلِكَ ٱلصَّبِيُّ مِنْ أَمْهَرِ ٱلْعُمَّالِ فِي ٱلْمَصْنَعِ وَأَكْثَرِهِمْ رَاتِبًا. وَأَخِيرًا تَوَلَّى رِيَاسَةَ ٱلْعَمَلِ كُلِّهِ، بِسَبَبِ مَهَارَتِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَعَاشَ فِي خَفْضٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ وَرَغَدٍ.

١٣ — اَلنَّمِرُ

يَفْتَرِسُ   اَلضَّخْمُ   فَرِيسَةٌ   مَوْطِنٌ   أَرْقَطُ
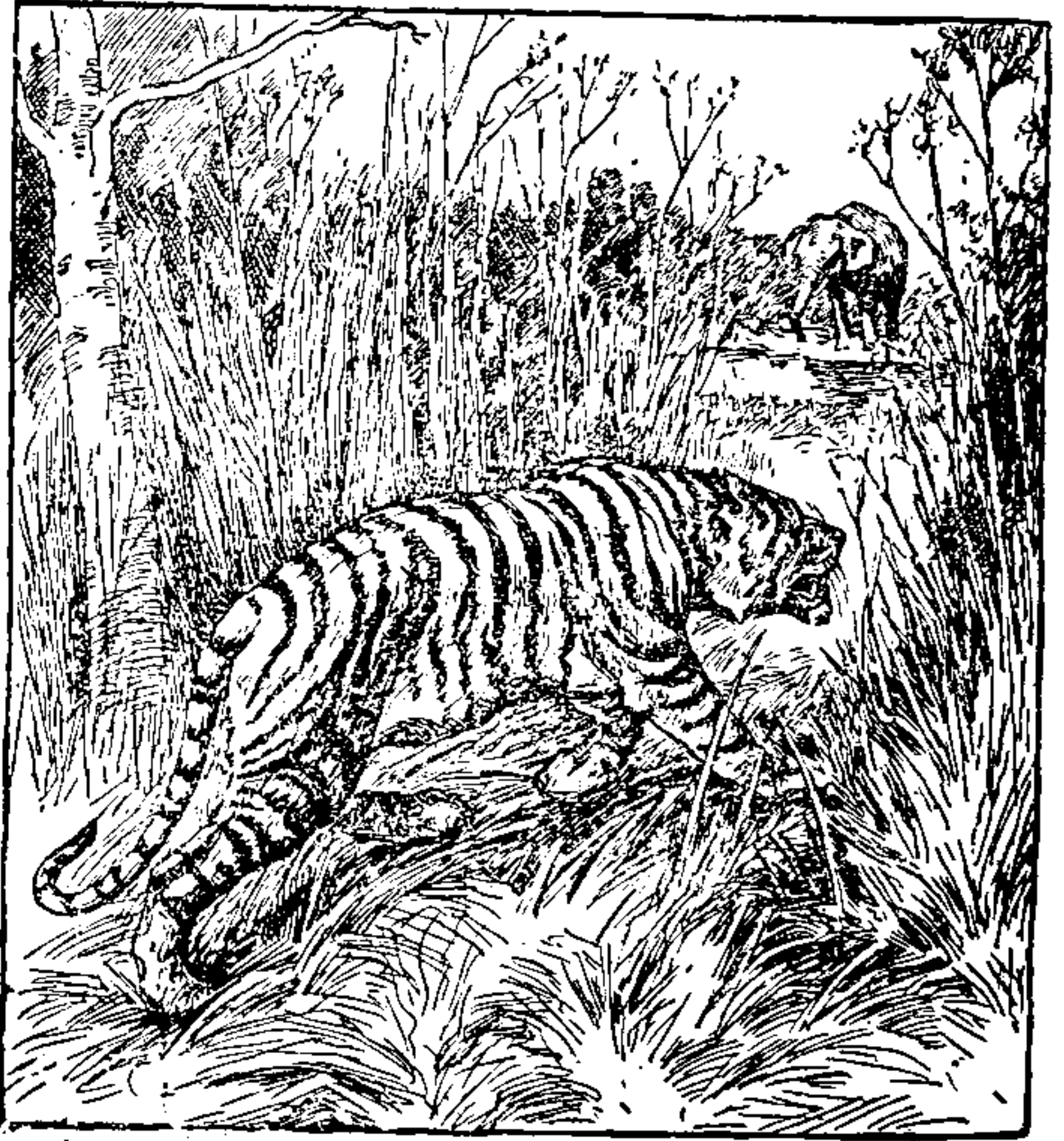
اَلنَّمِرُ حَيَوَانٌ يُشْبِهُ الْقِطَّ فِي خِلْقَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَكْبَرُ
مِنْهُ جِسْماً وَأَكْثَرُ قُوَّةً ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَفْتَرِسُ الْقَوِيَّ مِنَ

ٱلْإِنسَانِ، وَٱلضَّخمَ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ . وَكُلُّ مَخْلُوقٍ يَفِرُّ مِنْهُ مَتَى رَآهُ ، لِأَنَّهُ مُغْرَمٌ بِقَتْلِ مَا يُصَادِفُهُ بِسَبَبٍ وَبِغَيْرِ سَبَبٍ . بِخِلَافِ ٱلْأَسَدِ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ حَيَوَانًا إِلَّا إِذَا جَاعَ .

وَجِلْدُ ٱلنَّمِرِ أَرْقَطُ مُعْلَمٌ بِأَعْلَامٍ سُودٍ تَمْتَدُّ مِنْ ظَهْرِهِ إِلَى بَطْنِهِ . وَلَهُ مَخَالِبُ طَوِيلَةٌ يُبْرِزُهَا عِنْدَ ٱلْهُجُومِ ، وَأَنْيَابٌ تَخْتَرِقُ عِظَامَ فَرِيسَتِهِ . وهُوَ لَا يَجْرِى كَغَيْرِهِ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ، بَلْ يَثِبُ وَثَبَاتٍ وَاسِعَةً تَزِيدُ هَجْمَتَهُ عُنْفًا وَشِدَّةً .

وَٱلنَّمِرُ مَوْطِنُهُ ٱلْهِنْدُ . وَيَسْكُنُ ٱلْغَابَاتِ ٱلْكَثِيفَةَ ، بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ قَرِيبَةً مِنَ ٱلْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ يَبْحَثُ عَنْ فَرِيسَةٍ لَهُ وَرَأَى ٱلصَّيَّادِينَ فِي طَلَبِهِ ، عَادَ سَابِحًا وَبَلَغَ غَابَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ أَحَدٌ .

وَفِي ٱلْهِنْدِ يَخْرُجُ ٱلصَّيَّادُونَ لِصَيْدِهِ ، مُمْتَطِينَ ظُهُورَ ٱلْأَفْيَالِ وَمُدَجَّجِينَ بِٱلسِّلَاحِ . فَإِذَا رَآهُمْ قَادِمِينَ عَلَيْهِ ، تَوَغَّلَ فِي ٱلْغَابِ لِيَتَوَارَى فِي خِلَالِهِ . وَلَكِنَّ تَمَوُّجَ

الْأَغْصَانِ يَنُمُّ عَلَى مَكَانِهِ ، فَيُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الرَّصَاصَ فَيَقَعُ قَتِيلاً لاَ حَرَاكَ بِهِ . وَهُوَ وَالْفِيلُ عَدُوَّانِ لَدُودَانِ ، يَخَافُ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ . وَلَكِنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا قَامَتْ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدَةٌ ، فَيَتَعَلَّقُ النَّمِرُ بِخُرْطُومِ الْفِيلِ ، وَيُحَاوِلُ الْفِيلُ أَنْ يُلْقِيَهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِ ، ثُمَّ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِكُلِّ جِسْمِهِ فَيَقْتُلُهُ شَرَّ قِتْلَةٍ .

١٤ — هَدِيَّةُ الْفِيرَانِ

بَرَاعَةٌ مُدَاعَبَةٌ الِانْتِقَامُ حُرْمَةٌ يَتَقَزَّزُ

كَانَ لِامْرَأَةٍ قِطٌّ جَمِيلٌ تُحِبُّهُ كَثِيراً لِبَرَاعَتِهِ فِي صَيْدِ الْفِيرَانِ ، وَتَتَسَلَّى بِمُدَاعَبَتِهِ سَاعَاتِ الِانْفِرَادِ . خَرَجَ الْقِطُّ يَوْماً وَلَمْ يَعُدْ كَعَادَتِهِ . فَقَلِقَتِ الْمَرْأَةُ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ ، فَوَجَدَتْهُ فِي الطَّرِيقِ قَتِيلاً بِرَصَاصَةٍ فِي رَأْسِهِ . فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ حُزْناً شَدِيداً .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلَائِلَ ، بَلَغَهَا أَنَّ جَارَهَا هُوَ الَّذِي قَتَلَ ذَلِكَ الْقِطَّ الْحَاجَةِ فِي نَفْسِهِ . فَاغْتَاظَتْ مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ السَّيِّءِ ، وَصَمَّمَتْ عَلَى الِانْتِقَامِ مِنْ جَارِهَا ، الَّذِي لَمْ يُرَاعِ حُرْمَةَ الْجِوَارِ ، وَلَمْ يَشْكُ ذَلِكَ الْقِطَّ إِلَيْهَا أَبَدًا . فَاشْتَرَتْ جُمْلَةَ مَصَايِدَ لِلْفِيرَانِ ، صَادَتْ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ فَأْرًا . ثُمَّ وَضَعَتِ الْفِيرَانَ فِي صُنْدُوقٍ كَبِيرٍ ، وَكَتَبَتْ عَلَيْهِ اسْمَ جَارِهَا وَأَرْسَلَتْهُ إِلَيْهِ بِالْبَرِيدِ .

وَلَمَّا تَسَلَّمَ الرَّجُلُ الصُّنْدُوقَ فَرِحَ بِهِ ، وَظَنَّهُ هَدِيَّةً نَفِيسَةً مِنْ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ . فَفَتَحَهُ لِيَرَى مَا فِيهِ ، وَإِذَا الْفِيرَانُ خَرَجَتْ تَثِبُ فِي وَجْهِهِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي أَنْحَاءِ الْغُرْفَةِ وَهُوَ يَتَقَزَّزُ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْخَبِيثِ ، وَلَمْ يَدْرِ سَبَبًا لِهَذِهِ الْمَكِيدَةِ . ثُمَّ الْتَفَتَ فِي الصُّنْدُوقِ فَرَأَى وَرَقَةً مَكْتُوبًا فِيهَا الْعِبَارَةُ الْآتِيَةُ :

« لَقَدْ قَتَلْتَ قِطِّي وَحَرَمْتَنِي مِنْ وُجُودِهِ ، فَأَهْدَيْتُ

لَكَ هَذِهِ ٱلْفِيرَانَ ٱلَّتِي أَصْبَحَتْ تَمْرَحُ فِي بَيْتِي بِلَا رَقِيبٍ » .

فَصَبَرَ ٱلرَّجُلُ عَلَى هَذِهِ ٱلْمُصِيبَةِ ، ٱلَّتِي ٱعْتَبَرَهَا جَزَاءً حَقًّا عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ .

١٥ — اَلْمَرَاكِبُ

اَلشِّرَاعِيَّةُ   مُبَالِيَةٌ   يُلَاطِمُ

صَدَمَ   يُمَاثِلُ   نَقَاءِ

كَانَتْ جَمِيعُ ٱلْمَرَاكِبِ فِي ٱلْأَزْمَانِ ٱلْمَاضِيَةِ تُصْنَعُ مِنَ ٱلْخَشَبِ ، وَتَسِيرُ بِٱلْقِلَاعِ ، وَتُسَمَّى ٱلْمَرَاكِبَ ٱلشِّرَاعِيَّةَ . وَفِي أَيَّامِنَا هَذِهِ ، يُصْنَعُ ٱلْكَثِيرُ مِنْهَا مِنَ ٱلْحَدِيدِ ٱلصُّلْبِ ، وَيَسِيرُ بِٱلْبُخَارِ ، فَسُمِّيَتْ مَرَاكِبَ بُخَارِيَّةً .

وَمِنَ ٱلْمَرَاكِبِ ٱلْكَبِيرَةِ ٱلَّتِي تَحْمِلُ مِئَاتٍ مِنَ ٱلنَّاسِ ، وَمِنَ ٱلصَّنَادِيقِ ٱلْكَبِيرَةِ ٱلْمَمْلُوءَةِ بِٱلْبَضَائِعِ ، وَتَسِيرُ فِي ٱلْمِيَاهِ فَتَخْتَرِقُ ٱلْبِحَارَ ٱلْكَبِيرَةَ ، غَيْرَ مُبَالِيَةٍ بِمَا يُلَاطِمُهَا

مِنَ الْمَوْجِ الَّذِى يُشْبِهُ الْجِبَالَ ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْبِلَادِ الَّتِى
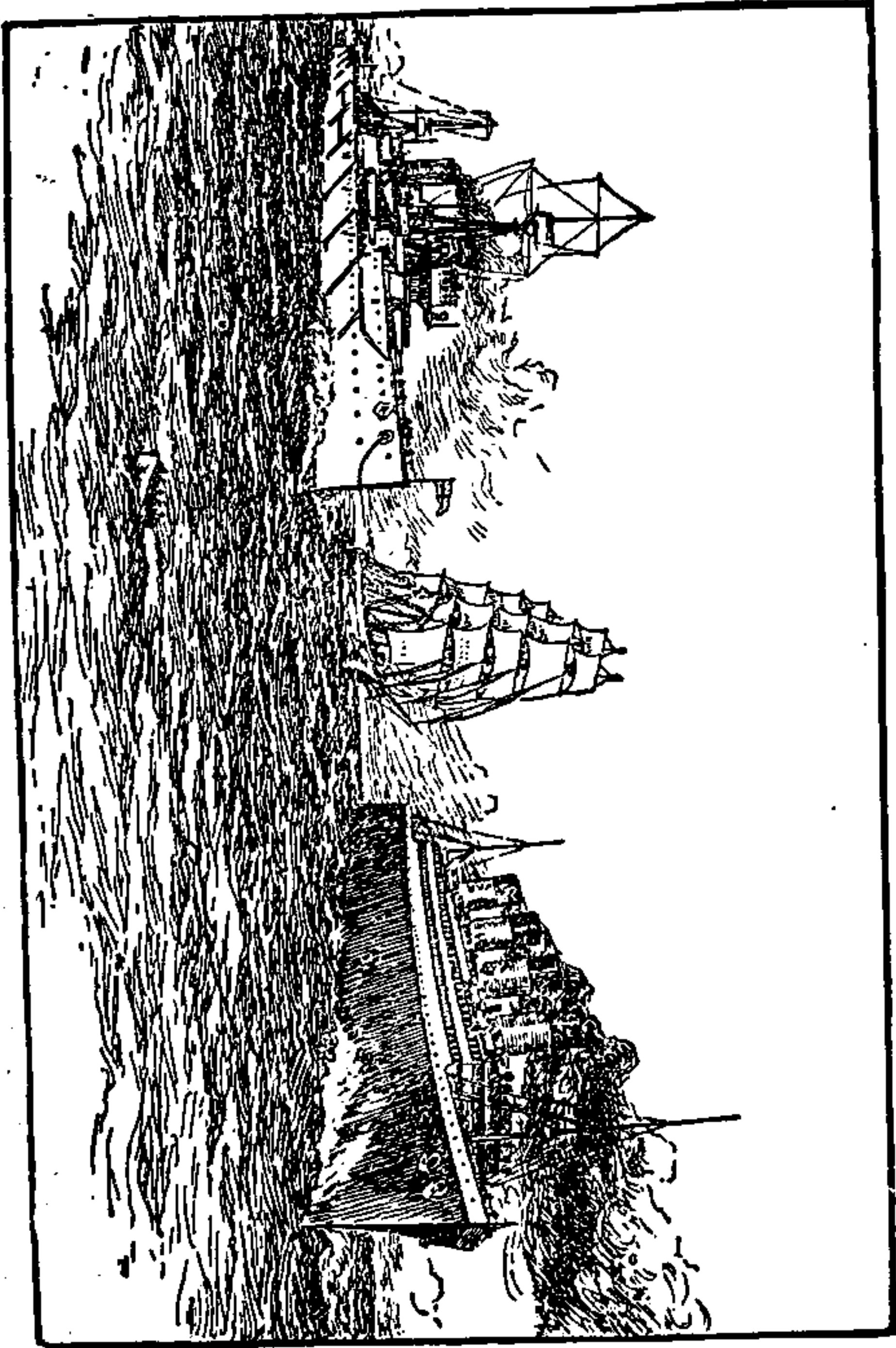
تَقْصِدُهَا بِالرُّكَّابِ وَبِالْبَضَائِعِ . وَتَمْكُثُ فِي سَفَرِهَا أَحْيَانًا عَشَرَاتٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، لِأَنَّهَا أَقَلُّ سُرْعَةٍ مِنْ قِطَارِ سِكَّةِ الْحَدِيدِ ، وَتَقْطَعُ أَبْعَادًا كَبِيرَةً فِي الْبِحَارِ . وَلَهَا فِي مُؤَخَّرِهَا آلَةٌ اسْمُهَا السُّكَّانُ ، تُوَجِّهُهَا كَمَا يُرِيدُ الرُّبَّانُ .

وَإِذَا كَانَ الْبَحْرُ هَائِجًا ، مَالَ الْمَرْكَبُ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَغْطِسُ ، إِلَّا إِذَا صَدَمَ صَخْرًا وَانْفَتَحَتْ فِيهِ فَتْحَةٌ يَدْخُلُ مِنْهَا الْمَاءُ فَيَغْرَقُ .

وَلِكُلِّ مَرْكَبٍ اسْمٌ يُعْرَفُ بِهِ . وَيُسَمَّى الرِّجَالُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِيهِ مَلَّاحِينَ . وَهُمْ أَقْوِيَاءُ جِدًّا ، لِأَنَّ هَوَاءَ الْبَحْرِ قَلَّ أَنْ يُمَاثِلَهُ هَوَاءٌ فِي نَقَائِهِ وَجَوْدَتِهِ . وَرَئِيسُ هَؤُلَاءِ الْمَلَّاحِينَ الرُّبَّانُ ، وَهُوَ الْحَاكِمُ فِي السَّفِينَةِ ، يَنْفُذُ أَمْرُهُ فِي كُلِّ مَنْ فِيهَا ، حَتَّى الرُّكَّابِ .

١٦ – سَاعَةُ ٱلْحَائِطِ وَٱلْمِزْوَلَةُ

بُرْجٌ　　قِمَّةٌ　　مِزْوَلَةٌ

يَتَّكِلُ　　تَسْتَطِيعِينَ　　مُعْتَمِدَةٌ

كَانَ فِي حَدِيقَةِ دَارٍ كَبِيرَةٍ مِزْوَلَةٌ تُبَيِّنُ ٱلْوَقْتَ . وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ ٱلْبِنَاءِ بُرْجٌ عَالٍ ، فِي قِمَّتِهِ سَاعَةٌ كَبِيرَةٌ تُطِلُّ عَلَى ٱلْحَدِيقَةِ . وَفِي يَوْمٍ كَثِيرِ ٱلْغَيْمِ ، قَالَتِ ٱلسَّاعَةُ لِلْمِزْوَلَةِ : « كَيْفَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَقِفِي مَوْقِفَكِ هٰذَا مِنْ غَيْرِ

عَمَلٍ ؟ إِنَّكِ لِمَنْ يَتَّكِلُونَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، فَلَا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تُؤَدِّي عَمَلَكِ ، وَتُبَيِّنِي الْوَقْتَ ، إِلَّا إِذَا أَضَاءَتْ عَلَيْكِ الشَّمْسُ . أَمَّا أَنَا ، فَإِنِّي أَعْمَلُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، صَيْفًا وَشِتَاءً مُعْتَمِدَةً عَلَى نَفْسِي ، فَأُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَوْقَاتَ عَمَلِهِمْ وَرَاحَتِهِمْ وَأَكْلِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَنَوْمِهِمْ . اِسْمَعِي هَأَنَذَا أَدُقُّ : وَاحِدَةً اِثْنَتَيْنِ ، ثَلَاثًا ، أَرْبَعًا . أَمَّا أَنْتِ ، فَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكِ أَحَدٌ إِلَّا إِذَا أَتَى لِيَرَاكِ » .

ثُمَّ ظَهَرَتِ الشَّمْسُ مِنْ وَرَاءِ السَّحَابِ ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ فِي السَّاعَةِ تَأَخُّرًا قَدْرُهُ نِصْفُ سَاعَةٍ . وَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَسَّمَتِ الْمِزْوَلَةُ مُسْتَهْزِئَةً بِخَطَإِ جَارَتِهَا ، وَقَالَتْ : « الْآنَ قَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ . أَنْتِ تَعْمَلِينَ فَتُخْطِئِينَ ، وَتُوقِعِينَ فِي الْخَطَإِ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْكِ ، فَلَا يَأْتِيهِمْ مِنْكِ إِلَّا الضَّرَرُ » فَقَالَتِ السَّاعَةُ : « لَيْسَ الْعَيْبُ أَنْ يَعْمَلَ الْمَرْءُ وَيُخْطِئَ ، وَلَكِنَّ الْعَيْبَ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى غَيْرِهِ فِي عَمَلِهِ » .

١٧ — اَلْإِسْفَنْجُ

تَاقَ	أَعْمَاقٌ	اَلْغَوَّاصُونَ
مَاضٍ	أَعْنَاقٌ	اَلْمَادَّةُ
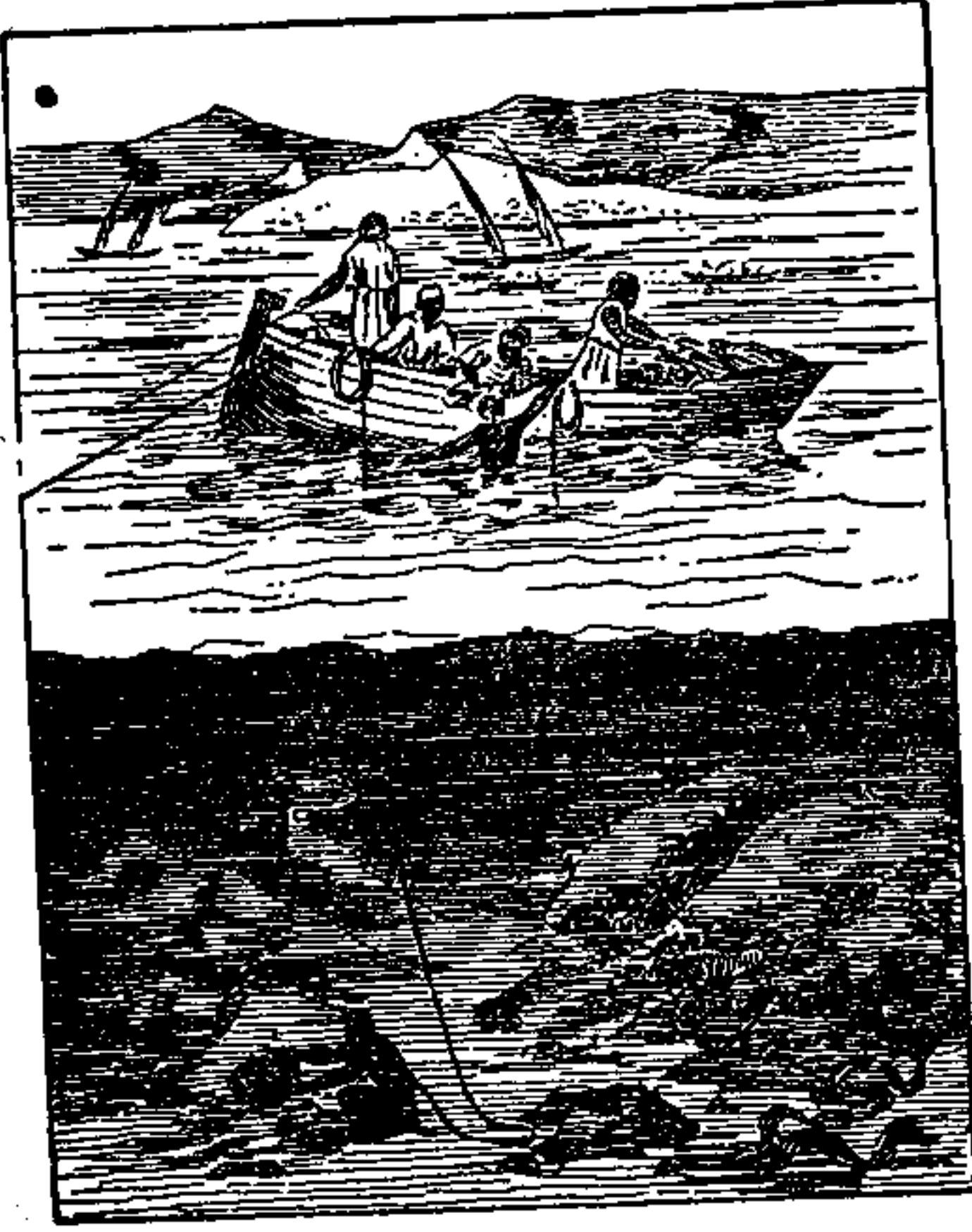
كَانَ إِسْمَاعِيلُ وَلَداً ذَكِيًّا ، إِذَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنَ
اُلسُّؤَالِ عَنْهُ حَتَّى يَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ يُنَظِّفُ قَلَمَهُ
مَرَّةً بِقِطْعَةٍ مِنَ اُلْإِسْفَنْجِ وَهُوَ يَكْتُبُ فِي اُلْمَنْزِلِ ، تَاقَ

كَمَادَتِهِ إِلَى ٱلْبَحْثِ ، فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَحَلِّ وُجُودِهِ ، وَطَرِيقَةِ صُنْعِهِ . فَضَحِكَ أَبُوهُ وَقَالَ : « لَيْسَ فِي قُدْرَةِ ٱلْإِنْسَانِ
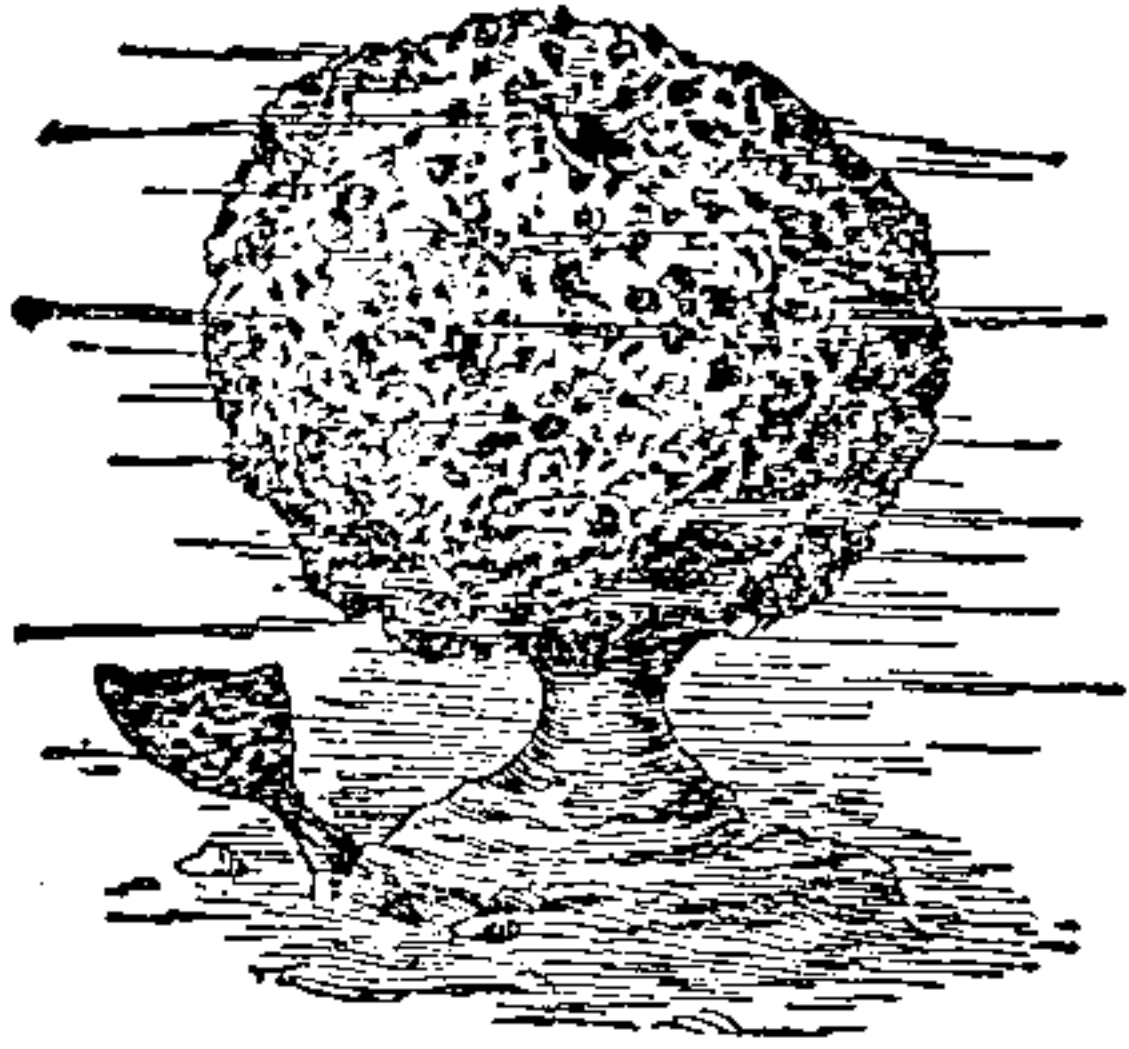
أَنْ يَصْنَعَ ٱلْإِسْفَنْجَ يَاإِسْمَاعِيــلُ ، فَهُوَ مِنْ صُنْعِ ٱللّٰهِ فَقَطْ ، لِأَنَّهُ مِنْ حَيَوَانٍ يَعِيشُ فِي أَعْمَاقِ ٱلْبِحَارِ ، إِذَا أُخْرِجَ مِنْهَا مَاتَ وَتَغَـيَّرَتْ حَالَتُهُ » . فَدَهِشَ إِسْمَاعِيلُ بُرْهَةً كَأَنَّهُ غَيْرُ مُصَدِّقٍ . ثُمَّ سَأَلَ : « وَكَيْفَ يُرَى يَا أَبِي ، وَهَلْ هُوَ يُصَادُ كَمَا يُصَادُ ٱلسَّمَكُ ؟ » . فَأَجَابَهُ أَبُوهُ : « إِنَّ ٱلْإِسْفَنْجَ يَنْمُو كَالنَّبَاتِ ثَابِتًا فِي مَوْضِعِهِ ، وَلِذَلِكَ يَغْطِسُ ٱلْغَوَّاصُونَ فِي طَلَبِهِ إِلَى أَعْمَاقِ ٱلْبِحَارِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ ذِرَاعًا ، وَيَقْطَعُونَهُ مِنَ ٱلصُّخُورِ ٱلَّتِي يَنْمُو عَلَيْهَا بِسِكِّينٍ مَاضٍ وَبِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَضَعُونَهُ فِي أَكْيَاسٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَعْنَاقِهِمْ ،

ثُمَّ يَصْعَدُونَ مِنَ ٱلْمَاءِ ، وَيَجْعَلُونَهُ كُومَةً عَلَى ٱلرَّمْلِ ، وَيَفْرُكُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى يَخْلُصَ مِنَ ٱلْمَادَّةِ ٱلْحَيَوَانِيَّةِ ٱلَّتِي عَلَيْهِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ يُوضَعُ فِي ٱلْمَاءِ ٱلْغَالِي زَمَنًا ، حَتَّى تَزُولَ رَائِحَتُهُ ٱلْحَيَوَانِيَّةُ .

١٨ — وَلَا تَصْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

طَائِشٌ	رَمَدَ	يَبْقَى
قَطٌّ	اِحْذَرْ	لَئِيمٌ
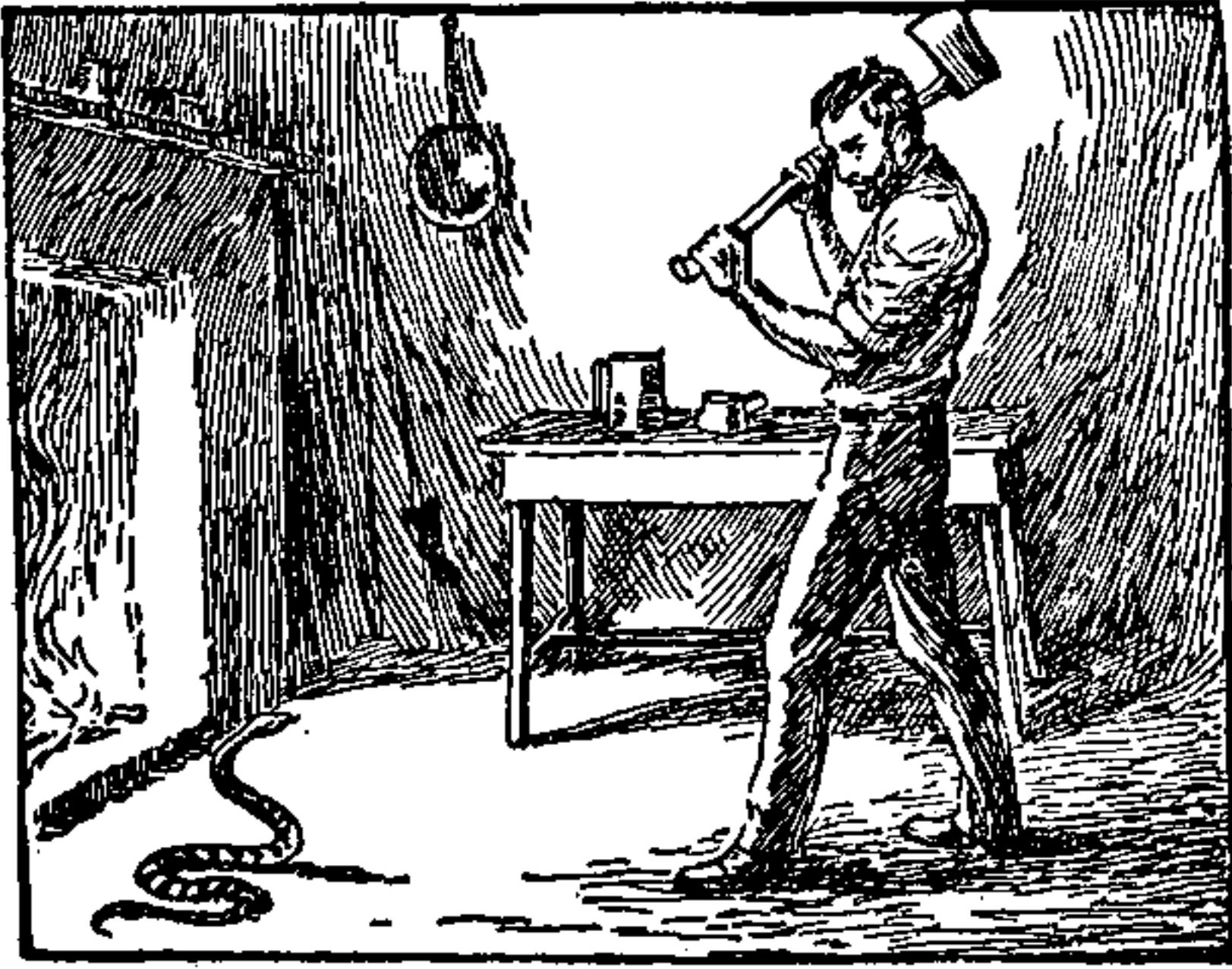
لَقَدْ رَمَدَ ٱلثُّعْبَانُ يَوْمًا مِنَ ٱلشِّتَا،
فَمَرَّ غُلَامٌ وَٱسْتَعَدَّ لِنَقْلِهِ،

وَجَاءَ بِهِ يَسْعَى إِلَى ٱلدَّارِ طَائِشًا،
وَأَدْفَأَهُ فَٱنْظُرْ لِقِلَّةِ عَقْلِهِ.

فَلَمَّا أَحَسَّ ٱلْوَحْشُ بِٱلدِّفْءِ حَوْلَهُ،
وَسَاحَتْ سُمُومُ ٱلْمَوْتِ فِي ٱلْجِسْمِ كُلِّهِ،

وَفَتَّحَ عَيْنَيْهِ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ،
عَلَى ٱلْوَلَدِ ٱلْمِسْكِينِ يَبْغِي لِقَتْلِهِ،

أَتَاهُ أَبُوهُ عَاجِلًا قَطَّ رَأْسَهُ،
وَدَاسَ عَلَيْهِ غَاضِبًا بِنِعَالِهِ،

وَقَالَ بُنَيَّ ٱحْذَرْ لَئِيمًا لَقِيتَهُ،
«وَلَا تَصْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ».

(العيون اليواقظ)

١٩ — أىَّ مِهْنَةٍ تَخْتَارُ

يَتَجَاذَبُ	يَحْتَرِفُ	أَوَالِي	الْمَعَاوِلُ
الْمَسَاحِلُ	أَثَاثٌ	مِنْقَرٌ	أَنْهَضُ
الْكَلَأُ	النَّضِيرُ	أَفْدِنُ	بُقُولٌ

اِعْتَادَ فَلَّاحٌ فَقِيرٌ ، فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مُدِيرِيَّةِ بَنِي سُوَيْفٍ ، أَنْ يَتَجَاذَبَ الْحَدِيثَ مَعَ أَوْلَادِهِ ، بَعْدَ الْعَشَاءِ وَقَبْلَ النَّوْمِ .

وَكَانَ الرَّجُلُ ذَكِيَّ الْفُؤَادِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ لَا يَخْتَارُ إِلَّا الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي يَكُونُ مِنْ وَرَائِهَا تَعْلِيمٌ لَهُمْ . وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ ، سَأَلَ أَصْغَرَهُمْ وَهُوَ شَعْبَانُ — وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ — عَمَّا يَرْغَبُ أَنْ يَحْتَرِفَهُ ، بَعْدَ انْتِهَائِهِ مِنَ الدِّرَاسَةِ فِي الْمَكْتَبِ . فَقَالَ شَعْبَانُ : « أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَدَّادًا ، فَأَتَّخِذَ لِي فِي الْقَرْيَةِ دُكَّانًا لَطِيفاً ، أَجْعَلُ الْكُورَ فِي رُكْنٍ مِنْهُ ، وَعَلَى جَانِبَيْهِ أُثَبِّتُ كِيراً وَسَنْدَاناً ، فَأَشْغَلُ

ٱلنَّارَ وَأَضَعُ فِيهَا ٱلْحَدِيدَ ، وَأُوَالِي ٱلنَّفْخَ بِالْكِيرِ حَتَّى يَبْيَضَّ ٱلْحَدِيدُ فَأَطْرُقَهُ ، وَأُمَتِّعَ نَظَرِي بِرُؤْيَةِ ٱلشَّرَرِ ٱلْأَحْمَرِ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ ٱلْمِطْرَقَةِ ، وَأَصْنَعَ مِنَ ٱلْحَدِيدِ وَهُوَ لَيِّنٌ ٱلْفُؤُسَ وَٱللُّجُمَ ، وَٱلسَّلَاسِلَ وَٱلْمَعَاوِلَ وَٱلْمَسَامِيرَ وَٱلْمَسَاحِلَ وَٱلْمَسَاحِجَ وَٱلنِّعَالَ ٱلْحَدِيدِيَّةِ ، وَكَثِيراً غَيْرَهَا » .

وَلَمَّا سَأَلَ يُونُسَ — وَكَانَ عُمْرُهُ تِسْعاً — عَمَّا يَرْغَبُ فِيهِ قَالَ : « أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ نَجَّاراً ، فَأُشَارِكَ أَخِي شَعْبَانَ فِي صُنْعِ حَاجَاتِ ٱلْمَنَازِلِ ، مِنْ شَبَابِيكَ وَأَبْوَابٍ وَأَرْفُفٍ وَسُقُوفٍ وَأَثَاثٍ ، بِمِنْشَارِي وَقَدُومِي وَمِسْحَجِي وَمِنْقَرِي » .

وَلَمَّا سُئِلَ ٱلْأَكْبَرُ ، وَهُوَ إِسْحَاقُ — وَكَانَ عُمْرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً — قَالَ : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ زَرَّاعًا ، فَأَنْهَضَ مِنْ فِرَاشِي مُبَكِّراً ، وَأَخْرُجَ لِأَسْمَعَ تَغْرِيدَ ٱلطُّيُورِ ، وَأَتَمَتَّعَ بِرُؤْيَةِ ٱلْكَلَإِ ٱلنَّضِيرِ ٱلْجَمِيلِ ٱلْخُضْرَةِ ، وَأُطْعِمَ ٱلْبَقَرَ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْأَغْنَامَ ، وَأُفَدِّنَ وَأَزْرَعَ وَأَحْصُدَ ثَمَرَ أَتْعَابِي ، مِنْ حُبُوبٍ وَبُقُولٍ وَقُطْنٍ وَفَوَاكِهَ مِنْ كُلِّ ٱلْأَصْنَافِ » .

٢٠ — مِصْرُ وَٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ (١)

اِسْتِقْبَالٌ ٱلْمَسَارِبُ شَرَعَ فُرْصَةٌ أَهَمِّيَّةٌ

مِصْرُ — كَيْفَ أَنْتِ يَا صَدِيقَتِي ٱلْبَحْرِيَّةَ أَيَّامَ ٱلرُّطُوبَةِ وَٱلْمَطَرِ ؟

ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ — أَنَا بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ ، وَلَا يَضُرُّنِى ٱلْمَطَرُ ، لِأَنِّى دَائِمًا مُسْتَعِدَّةٌ لِاسْتِقْبَالِهِ . وَقَدْ عَمِلْتُ لَهُ ٱلْمَسَارِبَ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِى مِنْهُ شَىْءٌ . أَمَّا أَنْتِ ، فَمُصِيبَتُكِ كَبِيرَةٌ مِنْ كَثْرَةِ ٱلْوَحَلِ إِذَا نَزَلَ ٱلْمَطَرُ .

مِصْرُ — لَا تَتَبَاهَىْ بِتِلْكَ ٱلْمَسَارِبِ ، وَيَظْهَرُ أَنَّكِ تَجْهَلِينَ أَنِّى عَمِلْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَصِرْتُ بِذَلِكَ أَجْمَلَ مِنْكِ وَأَنْظَفَ . وَأَصْبَحْتُ أَعْظَمَ مَدِينَةٍ فِى إِفْرِيقِيَّةَ .

اَلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ - أَمَّا اُلْجَمَالُ فَلِى أَغْلَبُهُ ، وَأَمَّا اُلْكِبَرُ فَقَدِ اُنْفَرَدْتِ بِهِ أَنْتِ ، وَمَا هَـذَا بِالشَّىْءِ
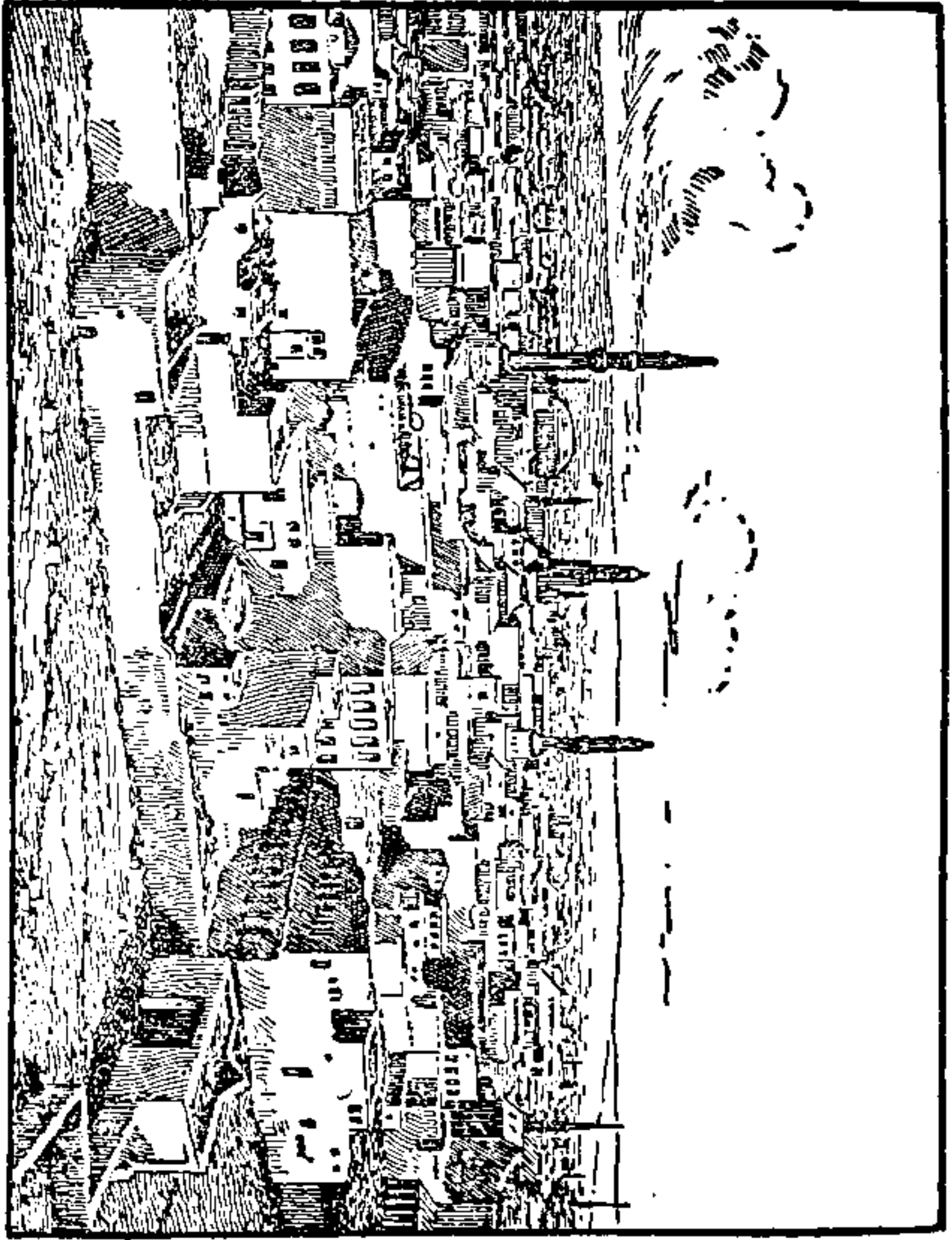
اُلْعَظِيمِ . أُنْظُرِى إِلَى تِجَارَتِى، وَالسُّفُنِ اُلْكَثِيرَةِ الرَّاسِيَةِ فِى فُرْضَتِى . أَلَا يَدُلُّ

كُلُّ هَذَا عَلَى مِقْدَارِ عَظَمَتِي وَأَهَمِّيَّتِي ؟

مِصْرُ — اَلْعَظَمَةُ لِلّهِ ! أَنَا مَرْكَزُ اُلْحُكُومَةِ وَأَسَاسُ اُلْأَعْمَالِ ، وَأَمْرِى نَافِذٌ فِي جَمِيعِ بِلَادِ اُلْقُطْرِ وَأَنْتِ مِنْ جُمْلَتِهَا ، فَلَا يَصِحُّ لِلْخَادِمِ أَنْ يَشْمَخَ عَلَى سَيِّدِهِ .

اَلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ — إِنْ كَانَ كُلُّ بِلَادِ اُلْقُطْرِ خُدَّاماً لَكِ فَأَنَا لَسْتُ خَادِمَةً ، لِأَنَّ رِجَالَ اُلْحُكُومَةِ تَقْضِي اُلصَّيْفَ عِنْدِي ، وَجَلَالَةُ اُلْمَلِيكِ اُلْمَحْبُوبِ أَوَّلُهُمْ ، وَهُوَ يُحِبُّنِي وَيَعْرِفُ أَنِّي أَلْطَفُ مِنْكِ وَأَجْوَدُ هَوَاءً .

مِصْرُ — أَشْهُرُ اُلصَّيْفِ قَلِيلَةٌ جِدًّا ، وَلَيْسَ فِيهَا عَمَلٌ يُذْكَرُ ، فَهُوَ وَقْتُ عُطْلَةٍ وَرَاحَةٍ لَا يُكْسِبُ اُلْبِلَادَ شَيْئاً . وَأَمَّا اُلشِّتَاءُ ، فَفِيهِ تَزِيدُ حَرَكَةُ اُلْأَعْمَالِ اُلتِّجَارِيَّةِ ، وَيَأْتِي اُلْجَوَّابُونَ فَيَمُرُّونَ بِكِ مَرًّا وَيُسْرِعُونَ إِلَيَّ .

٢١ — مِصْرُ وَٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ (٢)

ٱلْعَتِيقَةُ　مَقَابِرُ　عَرِيقَةٌ　قَصَبَةٌ

ٱلْمِسَلَّةُ　دَرَسَ　مَوْلًى　ثَلثمِائَةٍ
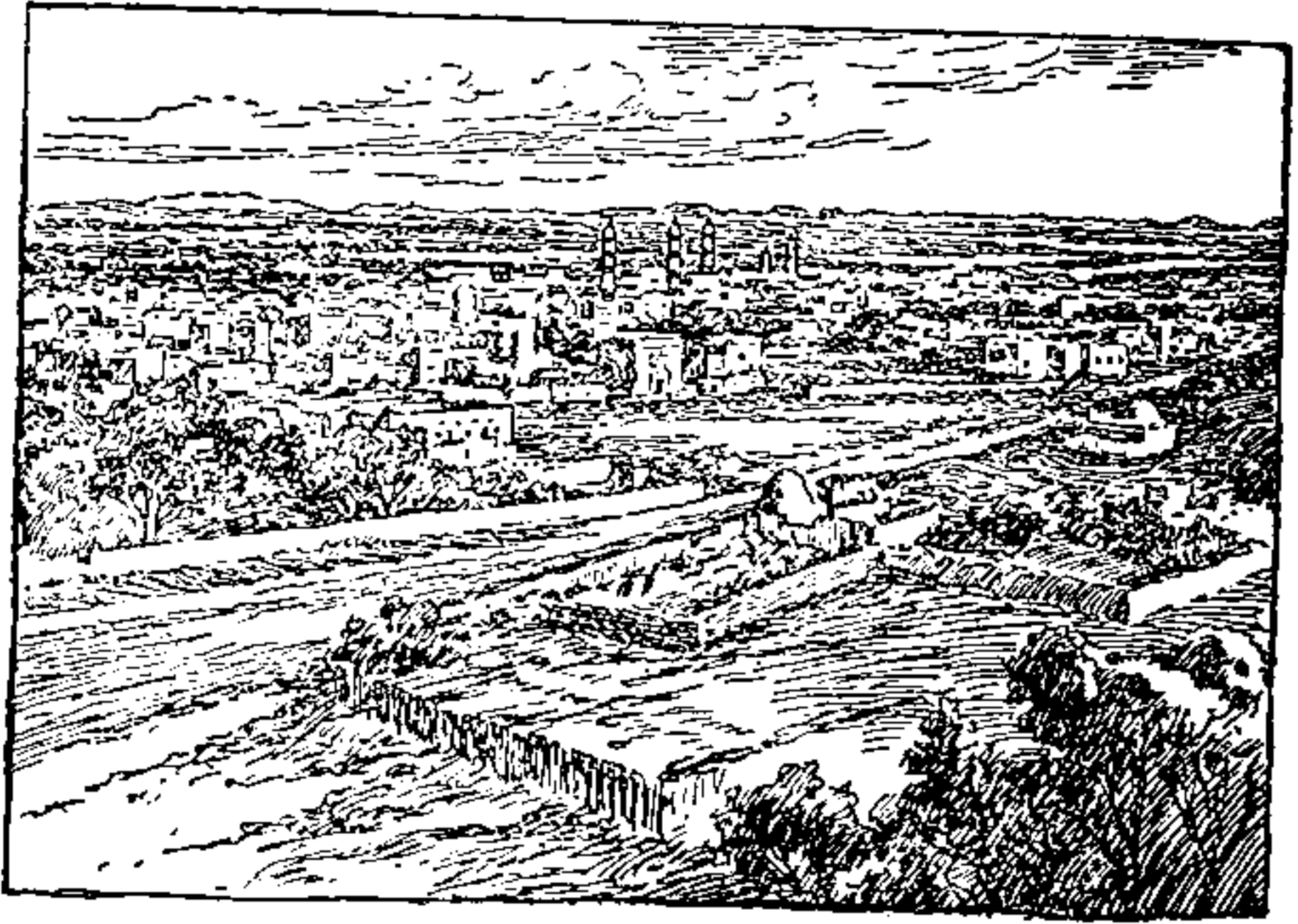
ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ - مَاذَا يَرَوْنَ فِيكِ يَا مِصْرُ مِنَ ٱلْمَنَاظِرِ ؟
وَلَيْسَ عِنْدَكِ إِلاَّ ٱلْقُبُورُ ٱلْعَتِيقَةُ ، وَبَعْضُ
آثَارِ ٱلْقُدَمَاءِ .

مِصْرُ　- أَنَا مَلْآنَةٌ بِٱلْآثَارِ ٱلْقَدِيمَةِ وَٱلْحَدِيثَةِ :
كَأَهْرَامِ ٱلْجِيزَةِ وَأَبِي ٱلْهَوْلِ وَأَهْرَا

سَقَّارَةَ ، وَمَقَابِرِ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْمَسَاجِدِ ٱلَّتِي
لَا تُعَدُّ ، وَكُلُّ هَذَا يُرِيكِ أَنِّي عَرِيقَةٌ
فِي ٱلْمَجْدِ وَٱلشَّرَفِ .

ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ - أَنَا أَعْرَقُ مِنْكِ مَجْداً ، فَقَدْ بَنَانِي
ٱلْإِسْكَنْدَرُ ٱلْأَكْبَرُ قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ ، وَمِنْهُ
أَخَذْتُ ٱسْمِي ، وَكُنْتُ قَصَبَةَ ٱلدِّيَارِ
ٱلْمِصْرِيَّةِ ، وَعِنْدِي عَمُودُ ٱلسَّوَارِيِّ شَاهِداً
عَلَى ذَلِكَ .

مِصْرُ - أَنَا أَقْدَمُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وَأَبِيهِ ،
لِأَنَّ ٱلْمَطَرِيَّةَ كَانَتْ قَصَبَةَ مِصْرَ أَيَّامَ
ٱلْفَرَاعِنَةِ ، وَٱلْمِسَلَّةُ ٱلْقَائِمَةُ فِيهَا إِلَى ٱلْآنَ
شَاهِدَةٌ عَلَى ذَلِكَ .

ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ - إِنَّ ٱلْمَطَرِيَّةَ دُفِنَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ٱلْحِينِ ،
وَكَذَلِكَ دَرَسَتِ ٱلْفُسْطَاطُ ، ٱلَّتِي أَنْشَأَهَا

عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ . أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ أَنْشَأَكِ جَوْهَرٌ مَوْلَى ٱلْمُعِزِّ لِدِينِ ٱللهِ بَعْدِى ، بِنَحْوِ أَلْفٍ وَثَلَثِمائَةِ سَنَةٍ .

مِصْر — دَعِينَا مِنْ هَذَا ٱلتَّفَاخُرِ ، فَقَدْ تَقَلَّبَتْ عَلَى كُلٍّ مِنَّا أَحْوَالٌ وَأَزْمَانٌ ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا ٱلْآنَ يَدًا وَاحِدَةً وَقَلْبًا وَاحِدًا ، لَا يُفَرِّقُنَا إِلَّا ٱلْبُعْدُ ، فَلْنَعِشْ أُخْتَيْنِ حَبِيبَتَيْنِ .

ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ — أَنَا أَفْدِيكِ بِرُوحِى وَمَالِى ، وَأَدْفَعُ عَنْكِ كُلَّ عَدُوٍّ يَأْتِى مِنْ جِهَتِى ، لِتَعِيشِى بِسَلَامٍ

٢٢ — ٱلْأَسَدُ وَٱلثَّعْلَبُ

مُتَنَعِّمٌ	تَهَابُ	أَشْرَفَ	تَمَارَضَ
اِعْتَزَلَ	مُتَرَدِّدٌ	نَأْتَنِسُ	عَوَّلَ

كَانَ أَسَدٌ يَعِيشُ فِى مَكَانٍ يَكْثُرُ فِيهِ ٱلشَّجَرُ . وَكَانَ مُتَنَعِّمًا مُحْتَرَمًا ، تَهَابُهُ كُلُّ ٱلْوُحُوشِ فِى ٱلْأَحْرَاشِ ، لِشِدَّةِ

بَأْسِهِ . وَلَمَّا شَاخَ ضَعُفَ ، وَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلَى اصْطِيَادِ قُوتِهِ كَمَا كَانَ أَيَّامَ قُوَّتِهِ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ . فَعَمَدَ إِلَى الْحِيلَةِ لِتَحْصِيلِ غِذَائِهِ ، مَا دَامَتِ الْقُوَّةُ قَدْ زَالَتْ مِنْهُ . فَتَمَارَضَ وَاعْتَزَلَ فِي غَارٍ ، حَتَّى إِذَا أَتَتِ الْوُحُوشُ لِزِيَارَتِهِ قَتَلَهَا غَدْراً ، وَافْتَرَسَهَا دَاخِلَ الْغَارِ وَأَكَلَهَا . وَذَاتَ يَوْمٍ أَتَى ثَعْلَبٌ ، وَوَقَفَ بِبَابِ الْغَــارِ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الدُّخُولِ وَالِانْصِرَافِ ، حَتَّى رَآهُ الْأَسَدُ وَقَالَ : « أَهْلًا بِكَ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ ! مَا بَالُكَ لَا تَدْخُلُ حَتَّى نَأْتَنِسَ بِكَ فِي حَالِ الْوَحْدَةِ وَالْمَرَضِ ؟ وَلَوْ كُنْتُ صَحِيحًا سَلِيمًا لَخَرَجْتُ أَنَا لِمُلَاقَاتِكَ ، لِمَا لَكَ عِنْدِي مِنَ الْقِيمَةِ وَالِاعْتِبَارِ » . فَقَالَ الثَّعْلَبُ : « أَتَيْتُ لِأَعُودَ سَيِّدَ الْوُحُوشِ . وَقَدْ كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى الدُّخُولِ وَالْجُلُوسِ مَعَهُ لِأُسَلِّيَهُ ، وَأُخَفِّفَ عَنْهُ الْأَلَمَ ، غَيْرَ أَنِّي أَرَى آثَارَ أَقْدَامٍ كَثِيرَةٍ دَخَلَتْ وَلَمْ تَخْرُجْ ؛ وَلِذَلِكَ أَكْتَفِي بِسُؤَالِ سَيِّدِي عَنْ حَالِهِ ، رَاجِياً مِنَ اللهِ لَهُ السَّلَامَةَ » . ثُمَّ انْصَرَفَ مُعْتَبِرًا بِمَا قَدْ حَصَلَ لِغَيْرِهِ .

٢٣ — اَلشَّـاىُ

مُنْعِشٌ بَرِّىٌّ يَغْرِسُ مُضَرَّسٌ يُعْتَبَرُ

تُجْنَى اَلْحَوْلُ اَلْخُلاَصَةُ تُجَفَّفُ تُصَدَّرُ

يُصْنَعُ مِنَ ٱلشَّاىِ شَرَابٌ مُنْعِشٌ ، بِوَضْعِ ٱلْمَاءِ ٱلْمُغْلَى عَلَى أَوْرَاقِهِ .

وَأَصْلُ مَوْطِنِهِ بِلاَدُ ٱلصِّينِ . وَهُوَ ٱلْآنَ يَنْبُتُ فِى ٱلْيَابَانِ ، وَفِى جِهَاتٍ مِنْ بِلاَدِ ٱلْهِنْدِ ، كَآسَامَ وَسَيَلاَنَ .

وَقَدْ كَانَ فِى بَادِئِ أَمْرِهِ بَرِّيًّا ، يَنْبُتُ فِى ٱلْأَحْرَاشِ أَشْجَاراً عَالِيَةً . أَمَّا ٱلْآنَ وَقَدْ عُرِفَتْ فَائِدَتُهُ ، وَٱعْتَنَى

ٱلنَّاسُ بِزِرَاعَتِهِ ، فَهُمْ يَغْرِسُونَهُ فِي بَسَاتِينَ خَاصَّةٍ ، وَلَا يَتْرُكُونَ أَشْجَارَهُ تَطُولُ ، بَلْ يُقَلِّمُونَهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ لِكَيْمَا تَكْثُرَ أَوْرَاقُهَا . وَلِنَبَاتِ ٱلشَّايِ زَهْرٌ أَبْيَضُ جَمِيلُ ٱلْمَنْظَرِ طَيِّبُ ٱلرَّائِحَةِ، وَفِي وَسَطِهِ خُيُوطٌ صُفْرٌ . أَمَّا ٱلْأَوْرَاقُ فَصَغِيرَةٌ مُضَرَّسَةٌ ، وَلَا يَنْقَطِعُ نَبْتُهَا طُولَ ٱلسَّنَةِ ، وَلِذَلِكَ يُعْتَبَرُ ٱلشَّايُ مِنَ ٱلنَّبَاتِ دَائِمِ ٱلْخُضْرَةِ .

وَلَا تُجْنَى ٱلْأَوْرَاقُ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ، إِلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلشَّجَرَةُ ٱلْحَوْلَ ٱلثَّالِثَ مِنَ ٱلْعُمْرِ ، وَتُجْنَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ٱلسَّنَةِ حِينَ تَكُونُ ٱلْأَوْرَاقُ طَرِيَّةً . وَمِنَ ٱلْجَنْيَةِ ٱلْأُولَى يُؤْخَذُ أَحْسَنُ ٱلشَّايِ لَوْنًا وَرَائِحَةً وَطَعْمًا . أَمَّا أَوْرَاقُ ٱلْجَنْيَتَيْنِ ٱلثَّانِيَةِ وَٱلثَّالِثَةِ ، فَقَلِيلَةُ ٱلْخُلَاصَةِ ، كَثِيرَةُ ٱلْمَرَارَةِ .

وَبَعْدَ جَنْيِ ٱلْأَوْرَاقِ تُجَفَّفُ فِي ٱلشَّمْسِ ، ثُمَّ عَلَى ٱلنَّارِ فَتَلْتَفُّ ، ثُمَّ تُوضَعُ فِي صَنَادِيقَ كَبِيرَةٍ وَتُصَدَّرُ لِلتِّجَارَةِ .

٢٤ ـ اَلْمُـــدَّعِى

أَجَمَةٌ　　يَخْشَى　　اَلْمُدَّعِى　　اِسْتَلْقَى

بَدَنٌ　　اَلْمَيْتَةُ　　اَلْمُزَاحُ

مَرَّ رَجُلَانِ فِى أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ اَلْأَشْجَارِ ، فَرَأَى أَحَدُهُمَا
عَلَى اَلْأَرْضِ آثَارَ أَقْدَامِ السِّبَاعِ ، فَقَالَ لِرَفِيقِهِ : إِنَّهُ يَخْشَى

أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِمَا سَبُعٌ فَيَقْتُلَهُمَا ، وَلَيْسَ مَعَهُمَا سِلَاحٌ يُدَافِعَانِ بِهِ عَنْ نَفْسَيْهِمَا . فَقَالَ ٱلْآخَرُ : « لَا تَخَفْ مَادُمْتُ أَنَا مَعَكَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ شَجَاعَتِي وَقُوَّتِي وَ . . » ، وَمَا كَادَ يُتِمُّ كَلَامَهُ حَتَّى سَمِعَا صَوْتَ دُبٍّ آتِيًا ، فَتَرَكَ ذَلِكَ ٱلْمُدَّعِي رَفِيقَهُ ، وَجَرَى نَحْوَ شَجَرَةٍ وَصَعَدَ إِلَى قِمَّتِهَا هَرَبًا مِنَ ٱلدُّبِّ . وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَٱسْتَلْقَى عَلَى ٱلْأَرْضِ وَكَتَمَ نَفَسَهُ . وَلَمَّا جَاءَ ٱلدُّبُّ ، دَارَ حَوْلَهُ يَشُمُّ بَدَنَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ نَفَسًا ، فَظَنَّ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَتَرَكَهُ وَٱنْصَرَفَ ، لِأَنَّهُ لَا يَأْكُلُ ٱلْمَيْتَةَ .

وَبَعْدَ أَنْ ذَهَبَ ٱلدُّبُّ نَزَلَ ذَلِكَ ٱلْمُدَّعِي عَنِ ٱلشَّجَرَةِ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَ رَفِيقِهِ وَهُوَ فِي شِدَّةِ ٱلْخَجَلِ ، وَسَأَلَهُ عَلَى سَبِيلِ ٱلْمُزَاحِ عَمَّا قَالَهُ ٱلدُّبُّ فِي أُذُنِهِ . فَقَالَ ٱلثَّانِي : « هَذَا دُبٌّ حَكِيمٌ . فَلَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ مَادِحَ نَفْسِهِ كَذَّابٌ لَا يُصَدَّقُ ، وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ » .

٢٥ — اَلْبَبْغَاءُ

أَلِفَ صَبِيحَةُ

يُوهِمُ تُنْهِي

بَكْمَاءُ اَلْقَعِيدَةُ

قِرًى اَلْعَقِيقُ

طَرْفٌ خُدُورٌ فَرْطٌ

أَلِفْتُهَا صَبِيحَةً مَلِيحَهْ ،

نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَهْ .

عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانُ ،

يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ .

تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا ،

وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا .

بَكْمَاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَهْ ،
تُعِيــــدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَهْ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَهْ ،
وَاسْتَوْطَنَتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَهْ .
ضَيْفٌ قِرَاهُ الْجَوْزُ وَالْأَرُزُّ ،
وَالضَّيْفُ فِي إِتْيَانِهِ يُعَزُّ .
تَرَاهُ فِي مِنْقَارِهَا الرَّقِيقِ ،
كَلُؤْلُؤٍ يُلْقَطُ بِالْعَقِيقِ .
تَنْظُرُ مِنْ طَرْفَيْنِ كَالْفَصَّيْنِ ،
فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ بَصَّاصَيْنِ .
فَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ ،
لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ .
تَحْبِسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبِ ،
وَإِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ .

(أبو اسحاق الصابى) .

٢٦ ـ ٱلصَّابُونُ (١)

كَانَ صَالِحٌ يَوْمًا يَغْسِلُ يَدَيْهِ بِٱلصَّابُونِ ، وَٱسْتَغْرَبَ كَيْفَ يُزِيلُ ٱلدُّهْنَ ، فَعَوَّلَ عَلَى ٱلِاسْتِعْلَامِ عَنْ ذَٰلِكَ مِنْ عَمٍّ لَهُ مُدَرِّسٍ ، ٱعْتَادَ زِيَارَةَ أَبِيهِ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ . فَلَمَّا حَضَرَ عَمُّهُ ، طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ كَيْفَ يُعْمَلُ ٱلصَّابُونُ ، وَكَيْفَ يُزِيلُ ٱلدَّسَمَ . فَأَعْطَى ٱلْخَادِمَ قِرْشًا وَأَمَرَهُ بِشِرَاءِ قَلِيلٍ مِنَ ٱلصُّودَا مِنَ ٱلصَّيْدَلَانِيِّ . وَلَمَّا حَضَرَ بِهَا ٱلْخَادِمُ أَمَرَهُ ٱلْأُسْتَاذُ بِإِحْضَارِ كَأْسٍ مِنَ ٱلْمَاءِ ، ثُمَّ وَضَعَ ٱلصُّودَا فِي ٱلْكَأْسِ وَأَخَذَ يُقَلِّبُهَا حَتَّى ذَابَتْ . فَطَلَبَ مِنْ صَالِحٍ أَنْ يَأْتِيَهُ بِزُجَاجَةٍ مَمْلُوءَةٍ إِلَى نِصْفِهَا بِالزَّيْتِ . وَلَمَّا حَضَرَتْ سَأَلَ ٱلْأُسْتَاذُ صَالِحًا : « هَلْ تَظُنُّ أَنَّ ٱلْمَاءَ يَمْتَزِجُ بِالزَّيْتِ ؟ » فَقَالَ صَالِحٌ : « إِنَّ ٱلزَّيْتَ يَطْفُو لِأَنَّهُ أَخَفُّ مِنَ ٱلْمَاءِ » . فَصَبَّ ٱلْأُسْتَاذُ ذَوْبَ ٱلصُّودَا فِي ٱلْقَارُورَةِ عَلَى ٱلزَّيْتِ وَسَدَّهَا ، وَجَعَلَ يَهُزُّهَا بِشِدَّةٍ زَمَنًا . فَلَاحَظَ

صَالِحٌ أَنَّ الزَّيْتَ يَمْتَزِجُ بِالصُّودَا، وَيُكَوِّنُ شَيْئًا جَدِيدًا يُخَالِفُ الزَّيْتَ فِي لَوْنِهِ . ثُمَّ وَضَعَ الْقَارُورَةَ عَلَى الْأَرْضِ دَقِيقَتَيْنِ حَتَّى هَدَأَتْ حَرَكَةُ السَّائِلِ ، فَرَأَى صَالِحٌ مَاءً فِي قَعْرِ الْقَارُورَةِ ، طَافِيَةٌ عَلَيْهِ مَادَّةٌ جَدِيدَةٌ ، أَخَذَ مِنْهَا قَلِيلًا فِي يَدِهِ ، فَإِذَا بِهَا لَيِّنَةٌ نَاعِمَةُ الْمَلْمَسِ تُشْبِهُ الصَّابُونَ . فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ : « هَذَا هُوَ الصَّابُونُ يَا صَالِحُ ؛ غَيْرَ أَنَّ بِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ يَخْلُصُ مِنْهُ بِالْغَلْيِ ، ثُمَّ إِذَا بَرُدَ جَمَدَ » . وَبَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَا يُغْلِيَانِهِ ، وَلَمَّا بَرُدَ أَخَذَ صَالِحٌ الصَّابُونَ الْمُتَكَوِّنَ ، وَغَسَلَ بِهِ يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْ دَهَنَهُمَا بِالدَّسَمِ ، وَهُوَ مُبْتَهِجٌ بِمَا اسْتَفَادَهُ .

٢٧ — الصَّابُونُ (٢)

يَتَرَقَّبُ يَدْلُكُ يُعَوِّضُ إِمَاعَةٌ

تَذَكَّرَ صَالِحٌ بَعْدَ خُرُوجِ عَمِّهِ ، أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ ، فَاتَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّهُ عَنْهُ . فَصَارَ يَتَرَقَّبُ عَوْدَتَهُ

حَتَّى حضَرَ يوْمًا ، فَبعْدَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوَضِّحَ لَهُ سَبَبَ إِزَالَةِ ٱلصَّابُونِ لِلدَّسَمِ . فَأَمَرَهُ عَمُّهُ بِإِحْضَارِ قَلِيلٍ مِنَ ٱلزَّيْتِ ؛ فَلَمَّا أَحْضَرَهُ ، طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْهُنَ يدَيْهِ بِهِ فَفعلَ . فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْلُكَ يدَيْهِ بِٱلصَّابُونِ جَافًّا مِنْ غيْرِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ ٱلْمَاءَ . وَسَأَلَهُ : « أَذَهَبَ هَذَا ٱلدَّلْكُ بِٱلدَّسَمِ ؟ » فَقَالَ : « لَا » . فَسَأَلَهُ : « إِذَا أَرَدْتَ إِزَالَتَهُ فَمَاذَا تَفْعَلُ ؟ » قَالَ : « أَسْتَخْدِمُ ٱلْمَاءَ » . فَقَالَ عَمُّهُ : « نَعَمْ لَا بُدَّ مِنَ ٱسْتِخْدَامِ ٱلْمَاءِ ، لِأَنَّ ٱلصَّابُونَ — زِيَادَةً عَلَى أَنَّهُ يَنْحَلُّ فِي ٱلْمَاءِ — يُصَيِّرُ ٱلدَّسَمَ قَابِلًا لِلِانْحِلَالِ فِيهِ ، وَٱلِاخْتِلَاطِ بِهِ . فَهُوَ يَنْتَقِلُ مِنَ ٱلْيَدِ إِلَى ٱلصَّابُونِ فِي ٱلرَّغْوَةِ ٱلَّتِي تَرَاهَا أَوَّلًا نَظِيفَةً ، ثُمَّ تَتَّسِخُ بِدَلْكِ ٱلْيَدَيْنِ ٱلْوَاحِدَةِ بِٱلْأُخْرَى ، وَهَذِهِ ٱلرَّغْوَةُ ٱلْوَسِخَةُ تَزُولُ بِٱلْمَاءِ فَتَنْظَفُ ٱلْيَدُ . وَقَدْ يُعَوَّضُ مِنَ ٱلزَّيْتِ ٱلشَّحْمُ أَوِ ٱلدُّهْنُ مَعَ إِمَاعَتِهِ ، وَإِضَافَةِ ذَوْبِ ٱلصُّودَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَغْلِي ، ثُمَّ يُعْمَلُ ٱلصَّابُونُ مِنْهُ ، بِالطَّرِيقَةِ ٱلَّتِي ذَكَرْتُهَا لَكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ أَجْوَدَ ٱلصَّابُونِ مَا كَانَتْ كَمِّيَّةُ

اَلْمَاءِ فِيهِ قَلِيلَةً ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِى أَنْ يُشْتَرَى الصَّابُونُ صُلْبًا جَافًّا. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْمُحَقَّقِ أَنَّ الصَّابُونَ يَنْحَلُّ فِي الْمَاءِ، وَجَبَ إِذًا أَلَّا يُتْرَكَ فِيهِ بَعْدَ اسْتِعْمَالِهِ » .

وَيُصْنَعُ الصَّابُونُ فِي جُمْلَةِ مُدُنٍ فِي الْقُطْرِ الْمِصْرِيِّ ، كَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَالزَّقَازِيقِ ، وَغَيْرِهِمَا .

٢٨ ـــ اَلْأَرَانِبُ

يُذْعَرُ أَسْرَابٌ طَلِيعَةٌ صَفَّقَ تَقْفِزُ

مُتَّكِئَةٌ اَلْخَلْفِيَّتَانِ اِبْنُ آوَى اِبْنُ عِرْسٍ

زَيْنَبُ ـ مَا أَجْمَلَ هَذَا الْأَرْنَبَ !

عَائِشَةُ ـ أَرَاهُ يَقْرُبُ مِنْكِ يَا زَيْنَبُ كَأَنَّهُ يَعْرِفُكِ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْنَبَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْجُبْنِ يُذْعَرُ مِنْ أَقَلِّ حَرَكَةٍ .

زَيْنَبُ ـ نَعَمْ ، هُوَ يَعْرِفُنِي ، وَكَثِيراً مَا يَأْكُلُ الْبِرْسِيمَ وَالْحَشِيشَ مِنْ يَدِي . وَإِذَا وَقَفْتِ سَاكِتَةً ، رَأَيْتِ عَشَرَاتٍ مِنَ الْأَرَانِبِ ، تَخْرُجُ مِنَ الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ لَنَا .

عَائِشَةُ ـ لِنَسْكُتْ إِذاً ، حَتَّى نَرَى عَدَدًا كَبِيراً مِنْهَا . وَالْأَحْسَنُ أَنْ نَقِفَ عَلَى بُعْدٍ لِكَيْلَا تُذْعَرَ مِنَّا .

زَيْنَبُ ـ هَا هِيَ ذِي تَخْرُجُ أَسْرَاباً ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ تُرْسِلُ الْأَرْنَبَ الْأَوَّلَ طَلِيعَةً لَهَا .

عَائِشَةُ ـ صَفِّقِي يَا زَيْنَبُ ، لِتَنْظُرِيهَا تَجْرِي إِلَى حُجْرَتِهَا مَذْعُورَةً .

زَيْنَبُ - مَا أَجْمَلَ جَرْيَهَا ! هَلْ تَرَيْنَ يَا عَائِشَةُ كَيْفَ تَقْفِزُ مُتَّكِئَةً عَلَى أَرْجُلِهَا الْخَلْفِيَّةِ ، وَتَثِبُ وَثَبَاتٍ وَاسِعَةً ؟

عَائِشَةُ - نَعَمْ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ رِجْلَيِ الْأَرْنَبِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ طَوِيلَتَانِ ، وَذَلِكَ لِيُمْكِنَهُ الْجَرْيُ بِسُرْعَةٍ قَفْزًا ، لِيَهْرُبَ مِنَ ابْنِ آوَى ، وَالثَّعْلَبِ ، وَابْنِ عِرْسٍ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْوُحُوشِ الَّتِي تَصِيدُهُ .

٢٩ — حِيلَةُ الْعَنْكَبُوتِ

حَافَّةٌ	يُلَاحِظُ	مَنْفَذٌ
خَابَ	لُعَابٌ	أَيْقَنَ

أَخَذَ رَجُلٌ عَصًا وَغَرَزَهَا فِي بِرْكَةِ مَاءٍ بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَّتِهَا ، ثُمَّ أَخَذَ عَنْكَبُوتًا وَوَضَعَهَا عَلَى طَرَفِ الْعَصَا ، وَوَقَفَ يُلَاحِظُ مَا تَأْتِي بِهِ الْعَنْكَبُوتُ مِنَ الْحِيلَةِ لِلْخُرُوجِ مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ .

فَنَزَلَتْ مِنْ أَعْلَى ٱلْعَصَا بِبُطْءٍ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ٱلْمَاءِ ، فَرَأَتْ أَنَّ ٱلطَّرِيقَ مَسْدُودَةٌ ، فَجَعَلَتْ تَدُورُ حَوْلَ ٱلْعَصَا أَمَلًا فِي أَنْ تَجِدَ مَنْفَذًا . وَلَمَّا خَابَ سَعْيُهَا عَادَتْ إِلَى أَعْلَى ٱلْعَصَا ، وَلَبِثَتْ بُرْهَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَحَرَّكَ ، كَأَنَّهَا تُفَكِّرُ فِي تَدْبِيرِ حِيلَةٍ تُخَلِّصُهَا مِنْ سِجْنِهَا .

وَأَخِيرًا أَخْرَجَتْ مِنْ جَوْفِهَا خَيْطًا طَوِيلًا أَلْصَقَتْ أَحَدَ طَرَفَيْهِ بِأَعْلَى ٱلْعَصَا ، وَأَرْسَلَتِ ٱلثَّانِيَ يَطِيرُ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَهِيَ تَرْقُبُ مَا يَفْعَلُ ٱللّٰهُ بِهِ ، إِلَى أَنْ وَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى حَافَةِ ٱلْبِرْكَةِ وَلَصِقَ بِهَا ، فَعَبَرَتِ ٱلْقَنْطَرَةَ ٱلَّتِي صَنَعَتْهَا ، وَوَصَلَتْ إِلَى ٱلْبَرِّ سَالِمَةً مَسْرُورَةً .

وَلَمَّا شَاهَدَ ٱلرَّجُلُ ذَلِكَ ، أَيْقَنَ أَنَّ ٱللّٰهَ لَمْ يَخْلُقْ حَيَوَانًا مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ مَا يَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ يُدَبِّرَ أُمُورَهُ بِنَفْسِهِ .

٣٠ — اَلْمَـاءُ

أَكْوَامٌ مُسْتَوٍ مُسْتَدِيرَةٌ
اَلْوِعَاءُ سَوَائِلُ

ذَهَبَ مُحَمَّدٌ وَمَحْمُودٌ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَقَعَدَا يَتَبَارَيَانِ فِي عَمَلِ أَكْوَامٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الرَّمْلِ. فَحَضَرَ أَبُوهُمَا وَشَاهَدَ مَا يَعْمَلَانِ. فَطَلَبَ مِنْهُمَا أَنْ يَعْمَلَا أَكْوَامًا مِنَ الْمَاءِ بَدَلاً مِنَ الرَّمْلِ، وَدَلَّهُمَا عَلَى نُقْرَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ بِالْمَاءِ، وَوَقَفَ يَرْقُبُهُمَا. فَحَاوَلَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنْ يَجْعَلَ الْمَاءَ كُومَةً فَلَمْ يُفْلِحْ. فَنَظَرَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبَتِ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَجْعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُومَةً، لِأَنِّي كُلَّمَا أَخَذْتُ حَفْنَةً وَوَضَعْتُهَا فَوْقَ الْمَاءِ نَزَلَتْ إِلَى الْجَوَانِبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُمْسِكَ الْمَاءُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَا يَحْصُلُ فِي الرَّمْلِ». فَقَالَ الْأَبُ: «نَعَمْ هَذَا صَحِيحٌ، لِأَنَّ الْمَاءَ يَسِيلُ دَائِمًا إِلَى أَسْفَلَ لِيَكُونَ سَطْحُهُ أُفُقِيًّا»، وَوَجَّهَ نَظَرَهُمَا إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ حَفَرَ أَبُوهُمَا نُقْرَةً مُسْتَدِيرَةً ، ثُمَّ أُخْرَى مُرَبَّعَةً ، وَثَالِثَةً مُثَلَّثَةً ، وَرَابِعَةً مُسْتَطِيلَةً ، وَكَانَ يَأْخُذُ الْمَاءَ بِكَفَّيْهِ وَيَضَعُهُ فِي كُلِّ نُقْرَةٍ وَيَسْأَلُهُمَا عَنْ شَكْلِهِ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْأَخِيرَةِ قَالَ مَحْمُودٌ : « شَكْلُ الْمَاءِ يَا أَبَتِ يُشْبِهُ شَكْلَ الْوِعَاءِ الَّذِي يَحْوِيهِ » . فَقَالَ الْوَالِدُ : « نَعَمْ أَصَبْتَ يَا مَحْمُودُ . وَمَا الَّذِي تَعْرِفُهُ مِمَّا فِي الْمَنْزِلِ يُشْبِهُ الْمَاءَ » ؟ فَقَالَ : « الْخَلُّ وَالزَّيْتُ ، وَشَرَابُ الشَّايِ وَالْقَهْوَةُ وَاللَّبَنُ » . فَقَالَ الْأَبُ : « هَذِهِ كُلُّهَا اسْمُهَا سَوَائِلُ » . ثُمَّ قَامُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَعَادُوا إِلَى الْمَنْزِلِ .

٣١ — الْغُرَابُ وَالْجَرَّةُ

جَرَّةٌ   غَوْرٌ   جَوْفٌ   وَضَحَ

عَطِشَ غُرَابٌ وَأَرَادَ الشُّرْبَ ، وَطَفِقَ يَبْحَثُ عَنْ مَاءٍ فِي كُلِّ مَا جَاوَرَهُ مِنَ الْجِهَاتِ . فَخَابَ سَعْيُهُ وَلَمْ يَجِدْ إِلَّا جَرَّةً فِي قَعْرِهَا قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ

لِبُعْدِ غَوْرِهَا وَلِطُولِ عُنُقِهَا . وَلَكِنَّ ٱلْعَطَشَ ٱشْتَدَّ بِهِ ، فَأَعْمَلَ فِكْرَهُ فِى تَدْبِيرِ حِيلَةٍ يَرْفَعُ بِهَا ٱلْمَاءَ إِلَيْهِ ، مَادَامَ هُوَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى ٱلْوُصُولِ إِلَى ٱلْمَاءِ ، وَصَمَّمَ عَلَى أَلَّا يَتْرُكَ ٱلْمَكَانَ ، حَتَّى يَشْرَبَ مِنْ تِلْكَ ٱلْجَرَّةِ . وَقَالَ فِى نَفْسِهِ : « إِذَا صَدَقَ ٱلْعَزْمُ وَضَحَ ٱلسَّبِيلُ » .

عِنْدَ ذَلِكَ ٱلْتَفَتَ حَوْلَهُ ، فَرَأَى حِجَارَةً صَغِيرَةً كَثِيرَةً ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا وَأَخَذَ وَاحِدًا بِمِنْقَارِهِ ، وَرَمَاهُ فِى ٱلْجَرَّةِ ، فَٱرْتَفَعَ ٱلْمَاءُ قَلِيلًا . فَعَادَ وَجَاءَ بِغَيْرِهِ . فَزَادَ ٱرْتِفَاعُ ٱلْمَاءِ ،

فَأَدْرَكَ أَنَّهُ إِذَا اُسْتَمَرَّ عَلَى عَمَلِهِ هَذَا وَدَأَبَ عَلَيْهِ ، بَلَغَ غَايَتَهُ وَأَطْفَأَ حَرَارَةَ عَطَشِهِ . فَلَبِثَ يَنْقُلُ اُلْحِجَارَةَ وَيَرْمِيهَا فِي جَوْفِ اُلْجَرَّةِ ، وَاُلْمَاءُ يَرْتَفِعُ فِيهَا قَلِيلًا قَلِيلًا ، حَتَّى أَمْكَنَهُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَخِيراً ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ بَعْدَ صَبْرِهِ وَجِدِّهِ . وَكَذَلِكَ : « كُلُّ مَنْ جَدَّ وَجَدَ » .

٣٢ — اَلذَّهَبُ

أَسْوِرَةٌ مَعَاصِمُ أَقْرَاطٌ اَلْحُلَى دَقِيقَةٌ

أَغْوَى اَلنَّفِيسُ بَرِيقٌ سُلَامَى مَحْسُورٌ
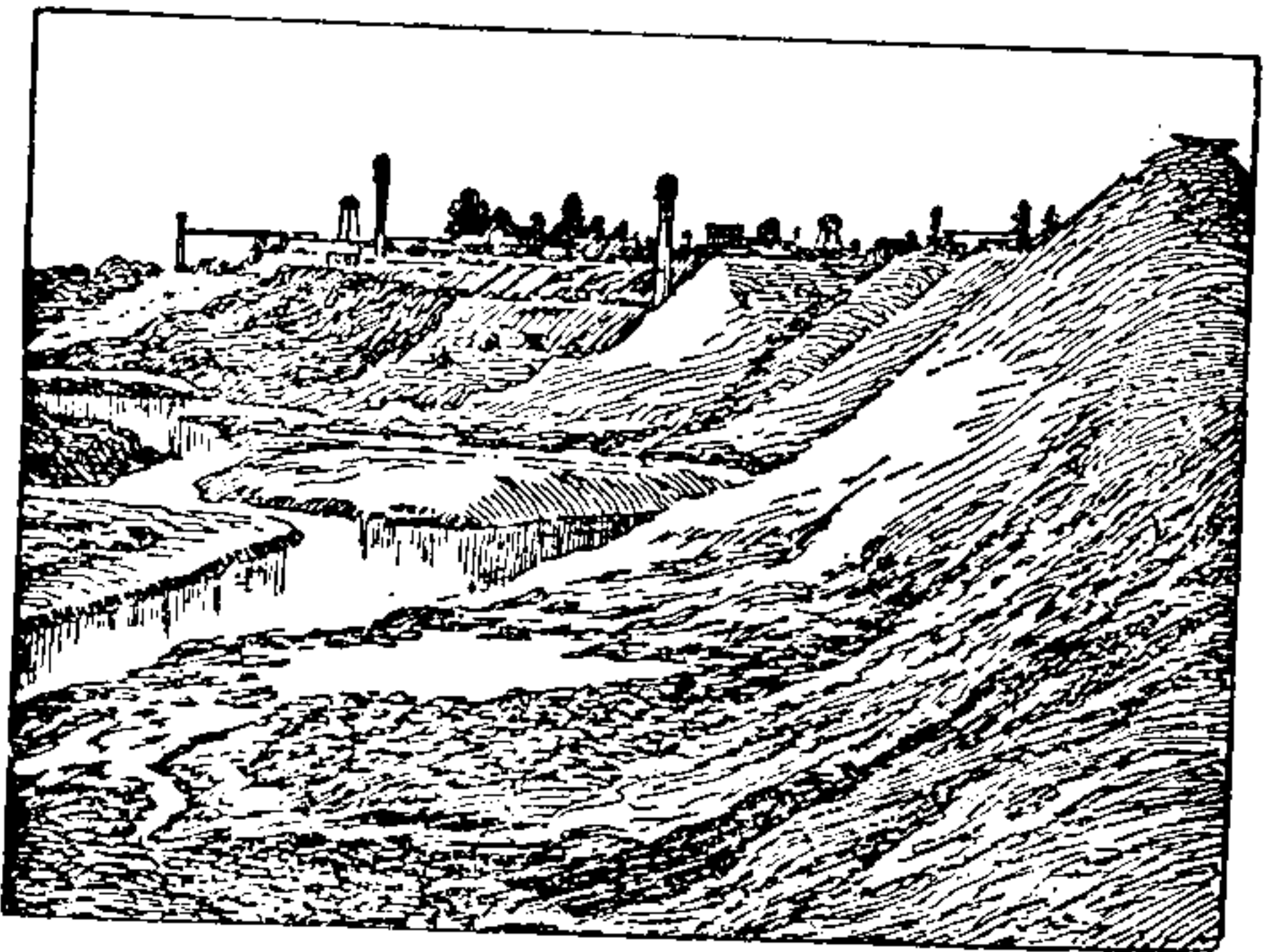
يَمِيلُ ٱلنِّسَاءُ إِلَى ٱلزِّينَةِ ، فَيَتَّخِذْنَ مِنَ ٱلذَّهَبِ أَسْوِرَة يَلْبَسْنَهَا فِي مَعَاصِمِهِنَّ ، وَأَقْرَاطًا يُعَلِّقْنَهَا بِآذَانِهِنَّ . وَهَذِهِ ٱلْحُلَى غَالِيَةُ ٱلثَّمَنِ ، لَا يُحَصِّلُهَا إِلَّا ٱلْغَنِيَّاتُ مِنْهُنَّ ، لِأَنَّ ٱلذَّهَبَ مَعْدِنٌ قَلِيلُ ٱلْوُجُودِ ، يَسْتَخْرِجُهُ ٱلنَّاسُ مِنْ جَوْفِ ٱلْأَرْضِ بِكَدٍّ وَتَعَبٍ ، وَيَسْتَعْمِلُونَ فِي ذَلِكَ آلَاتٍ دَقِيقَةَ ٱلصُّنْعِ كَبِيرَةَ ٱلْقِيمَةِ .

وَقَدْ وُجِدَ هَذَا ٱلْمَعْدِنُ ، فِي جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي أَمْرِيقَا وَإِفْرِيقِيَّةَ ، وَأُسْتُرَالِيَا . وَكُلَّمَا عَلِمَ ٱلنَّاسُ بِظُهُورِ مَعْدِنِهِ فِي مَكَانٍ ، سَارَعُوا إِلَيْهِ جَمَاعَاتٍ وَوِحْدَانًا ، تَارِكِينَ أَوْلَادَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ طَمَعًا فِي ٱلْمَالِ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ قَصْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْتَدُّ خَائِبًا مَحْسُورًا .

أَغْوَى هَذَا ٱلْمَعْدِنُ ٱلنَّفِيسُ جَمِيعَ ٱلنَّاسِ ، لِصَفَاءِ لَوْنِهِ ٱلْأَصْفَرِ وَحُسْنِ بَرِيقِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْدَأُ . وَهُوَ أَصْلَبُ مِنَ ٱلْحَدِيدِ ، وَأَلْيَنُ مِنْهُ فِي ٱلتَّطْرِيقِ وَٱلتَّمْدِيدِ ، بِحَيْثُ أَمْكَنَ
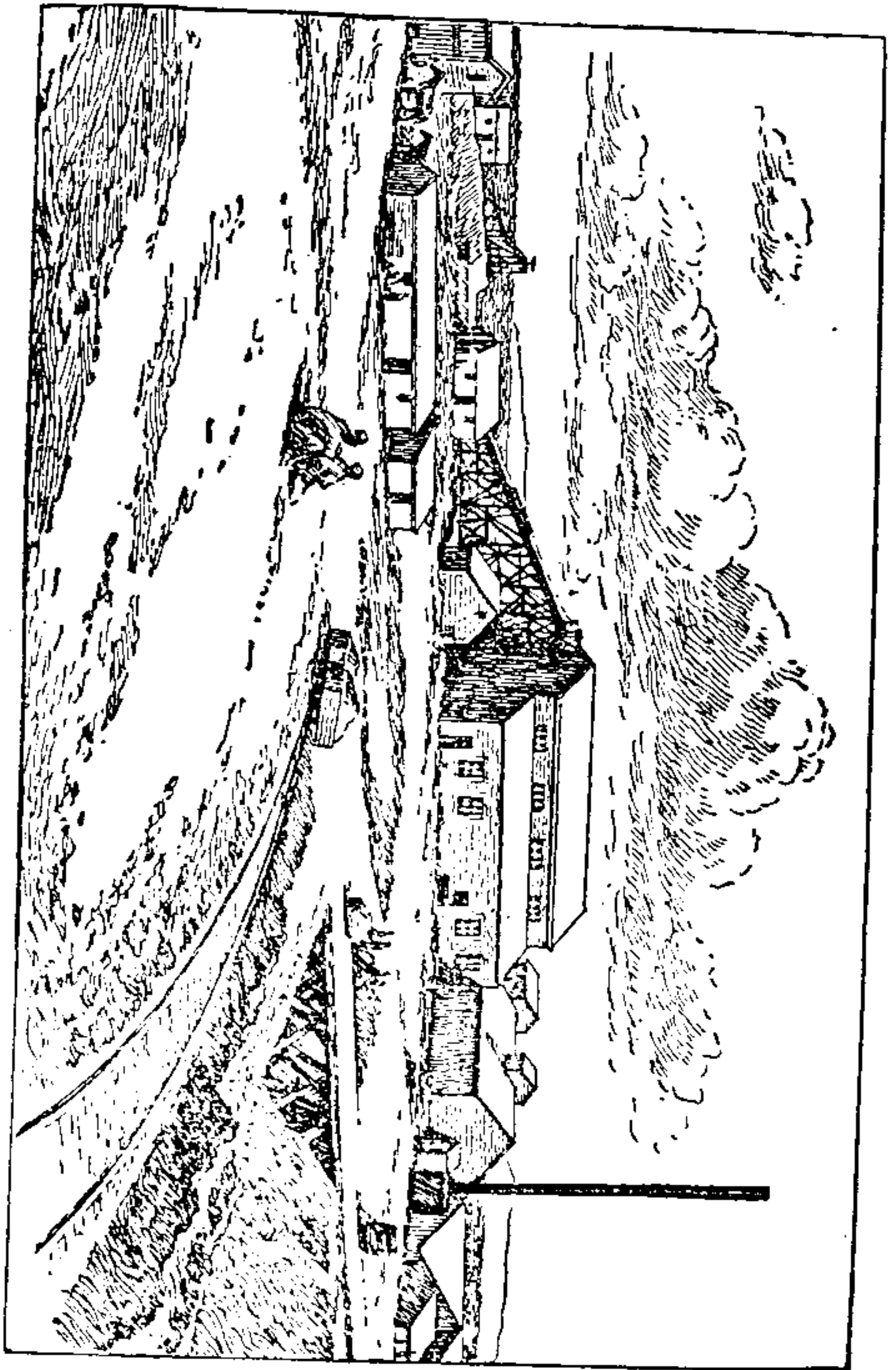
تَطْرِيقُهُ إِلَى صَفَائِحَ رَقِيقَةٍ جِدًّا ، إِذَا وُضِعَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ لَمْ يَزِدْ سُمْكُهَا جَمِيعًا عَلَى طُولِ سُلَامَى أُصْبُعٍ . وَكَذَلِكَ تُعْمَلُ مِنْهُ أَسْلَاكٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ . وَالنَّارُ الشَّدِيدَةُ لَا تُذِيبُهُ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ ، وَمَتَى بَرُدَ عَادَ إِلَى صَلَابَتِهِ الْأُولَى .

٣٣ — اَلْفَلَّاحُ وَاللِّفْتُ

يَمَلُّ — اَلْقَرْيَةُ — تَشْجِيعٌ — جَشِعٌ

يُجْزِلُ — أَلَحَّ — أَنْفَقَ — اَلْأَثَرَةُ

كَانَ لِفَلَّاحٍ فَقِيرٍ حَقْلٌ صَغِيرٌ يَزْرَعُ فِيهِ اللِّفْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ الْفَلَّاحُ مُجْتَهِدًا لَا يَمَلُّ مِنَ الْعَمَلِ فِي خِدْمَةِ أَرْضِهِ ، حَتَّى أَتَى زَرْعُهُ بِحَاصِلٍ جَيِّدٍ يُنَاسِبُ عَمَلَهُ ، وَوَجَدَ مِنْ بَيْنِهِ لِفْتَةً كَبِيرَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ ، فَفَكَّرَ فِي أَنْ يُهْدِيَهَا لِحَاكِمِ الْقَرْيَةِ . فَلَمَّا قَدَّمَهَا إِلَيْهِ قَبِلَهَا مَسْرُورًا مِنَ اجْتِهَادِهِ ، وَكَافَأَهُ بِجُنَيْهَيْنِ تَشْجِيعًا لَهُ عَلَى الْعَمَلِ .

فَسَمِعَ بِذَلِكَ فَلَّاحٌ غَنِيٌّ جَشِعٌ ، فِي ٱلْقَرْيَةِ نَفْسِهَا ، فَحَسَدَ ٱلْفَقِيرَ عَلَى مَا نَالَهُ مِنَ ٱلْعَطَاءِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « إِذَا قَدَّمْتُ إِلَى ٱلْحَاكِمِ أَحْسَنَ نِعَاجِي ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُجْزِلَ لِي ٱلْعَطَاءَ عَلَيْهَا ، فَأَرْبَحَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِهَا أَضْعَافًا » .

فَجَاءَ بِهَا إِلَى ٱلْحَاكِمِ ، وَرَجَا مِنْهُ أَنْ يَقْبَلَ ٱلْهَدِيَّةَ . فَأَبَى ٱلْحَاكِمُ ، لِمَا يَعْلَمُ فِي ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْأَثَرَةِ وَٱلطَّمَعِ . فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ، وَرَجَا مِنْهُ أَنْ يَقْبَلَهَا . فَقَالَ ٱلْحَاكِمُ : « مَا دُمْتَ تُلِحُّ عَلَيَّ بِقَبُولِ هَدِيَّتِكَ ، فَأَنَا أَقْبَلُهَا ، عَلَى أَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا أَنْفَقْتُ فِيهِ ضِعْفَ ثَمَنِ نَعْجَتِكَ » . فَأَبْرَقَتْ عَيْنَا ٱلرَّجُلِ فَرَحًا بِهَذَا ٱلْكَلَامِ ٱللَّطِيفِ ، وَظَنَّ أَنَّ ٱلْهَدِيَّةَ تُعَوِّضُهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَقَ .

ثُمَّ أَهْدَاهُ ٱلْحَاكِمُ ٱللِّفْتَةَ ، فَٱنْقَلَبَ فَرَحُهُ تَرَحًا ، وَأَخَذَهَا وَٱنْصَرَفَ نَادِمًا عَلَى خَسَارَةِ نَعْجَتِهِ .

٣٤ - اَلْأَهْــرَامُ

غَامِضٌ اَلْعَدِيدَةُ آيَةٌ إِتْقَانٌ اَلْأَبْنِيَةُ
يُبْلِي مُجَصَّصٌ أَمْلَسُ إِقَامَةٌ يَعْتَقِدُ
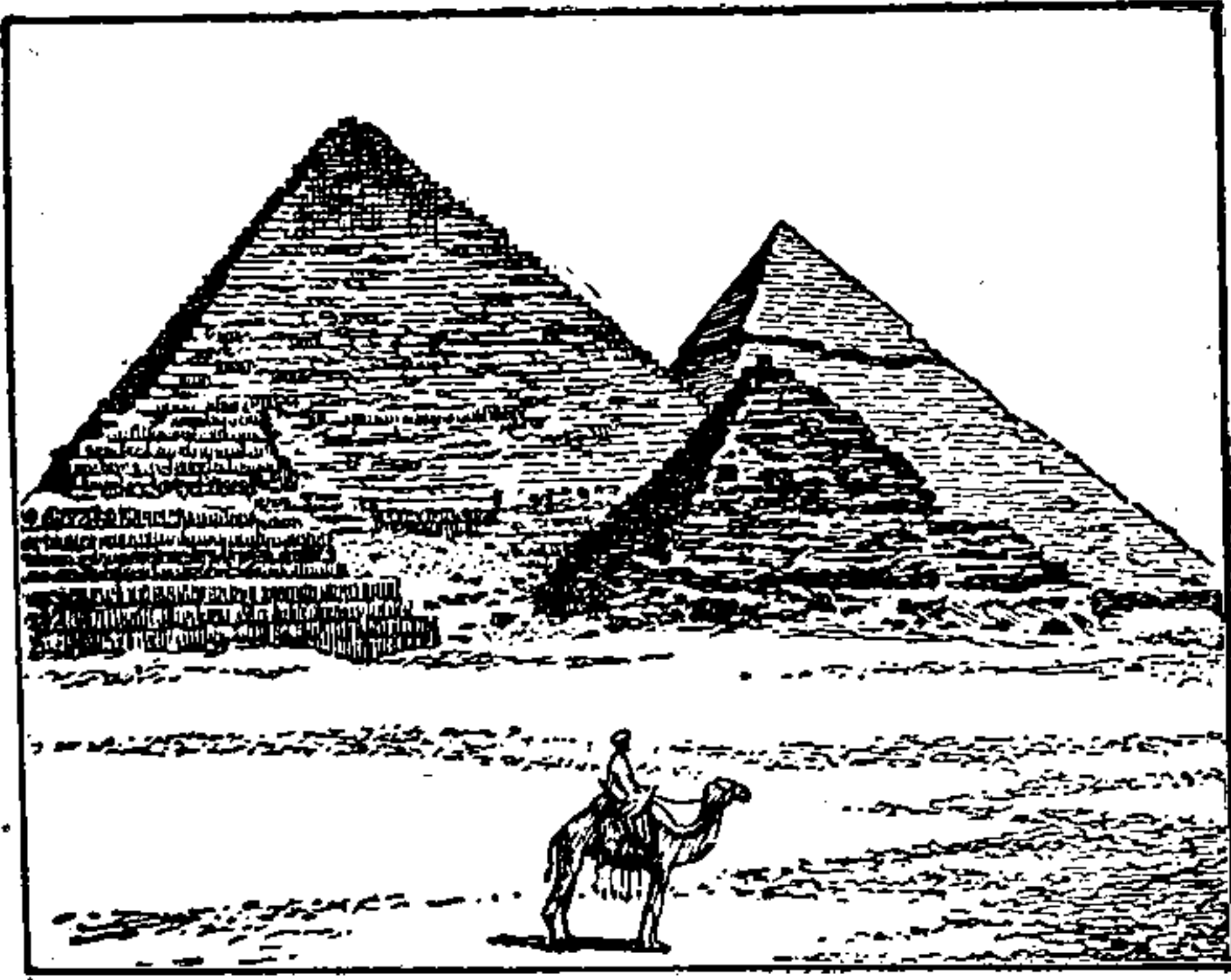
كَانَ اَلْمِصْرِيُّونَ اَلْقُدَمَاءُ أَمْهَرَ أَهْلِ اَلْأَرْضِ فِي صِنَاعَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى إِنَّ كَثِيراً مِنْهَا لاَ تَزَالُ طَرِيقَةُ عَمَلِهِ سِرًّا غَامِضاً إِلَى اَلْآنَ . وَمِنْ ذَلِكَ اَلْأَهْرَامُ اَلْكَثِيرَةُ ،

ٱلَّتِى بَنَوْهَا فِى كَثِيرٍ مِنَ ٱلْجِهَاتِ ، فَإِنَّهَا آيَةٌ فِى إِتْقَانِ ٱلصَّنْعَةِ وَفِى ٱلضَّخَامَةِ

وَأَهَمُّ هَذِهِ ٱلْأَبْنِيَةِ أَهْرَامُ ٱلْجِيزَةِ ٱلثَّلَاثَةُ ٱلْعِظَامُ : بَنَى أَكْبَرَهَا ٱلْمَلِكُ خُوفُو ، مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ سَنَةٍ ، وَهُوَ هُوَ لَمْ يُبْلِهِ مُرُورُ هَذِهِ ٱلْآلَافِ مِنَ السِّنِينَ . وَكَانَ مُجَصَّصاً وَمَطْلِيًّا بِدِهَانٍ أَمْلَسَ ، مَنْقُوشٍ عَلَيْهِ صُوَرٌ وَكِتَابَاتٌ مِنْ كِتَابَتِهِمُ ٱلرَّسْمِيَّةِ .

وَٱلسَّبَبُ فِى إِقَامَةِ هَذِهِ ٱلْأَهْرَامِ ٱلْعَظِيمَةِ ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ٱلْأَرْوَاحَ تَعُودُ إِلَى أَجْسَامِهَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَكَانُوا يَحْفَظُونَ ٱلْأَجْسَامَ بِمَهَارَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَضَعُونَهَا فِى هَذِهِ ٱلْأَمَاكِنِ ، حَتَّى إِذَا قَامَتِ ٱلْقِيَامَةُ وَجَدَتْ كُلُّ رُوحٍ جِسْمَهَا بَاقِياً ، فَتَدْخُلُهُ لِتُعِيدَ إِلَيْهِ ٱلْحَيَاةَ .

وَٱلْأَحْجَارُ ٱلَّتِى بُنِيَتْ مِنْهَا هَذِهِ ٱلْأَهْرَامُ كَبِيرَةُ ٱلْحَجْمِ ، عَظِيمَةُ ٱلثِّقَلِ ، لَا يَسْتَطِيعُ عَشَرَةُ رِجَالٍ حَمْلَ ٱلْوَاحِدِ

ـنب . وَكَانُوا يَقْطَعُونَهُ مِنْ جِبَالِ ٱلْمُقَطَّمِ . وَيَنْحِتُونَهُ حُدُوراً مِنْ رَمْلٍ بَيْنَ جَبَلٍ وَمَكَانِ بِنَائِهِ . وَيَرْفَعُونَهَا عَلَيْهِ ثُمَّ يَرْفَعُونَهُ بِرَوَافِعَ خَشَبِيَّةٍ ، وَيُثَبِّتُونَهَا فِي مَوْضِعِهَا .

وَفِي هَرَمِ ٱلْجِيزَةِ ٱلْأَكْبَرِ جُمْلَةُ غُرَفٍ ، بَعْضُهَا صَغِيرٌ وَبَعْضُهَا كَبِيرٌ . وَفِي وَسَطِهِ بِئْرٌ عَمِيقَةٌ ، يُقَالُ إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَهَا مِزْوَلَةً ، يَعْرِفُونَ بِهَا ٱلزَّمَنَ .

٣٥ — جَمَاعَةُ ٱلْفِيرَانِ

يَقُودُ	ٱلضَّرِيرُ	ٱلْأَعْجَمُ
يُعَاوِنُ	ٱلْمَعُونَةُ	يُمْسِي

كَانَ رَجُلٌ مَاشِيًا فِي حَقْلٍ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ ، يُمَتِّعُ نَفْسَهُ بِجَمَالِ ٱلطَّبِيعَةِ فِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ ٱلْهَادِئِ ، ٱلَّذِي ٱمْتَزَجَ فِيهِ بَيَاضُ ضَوْءِ ٱلْقَمَرِ بِخُضْرَةِ ٱلزَّرْعِ . فَرَأَى جَمَاعَةً مِنَ ٱلْفِيرَانِ سَائِرَةً فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ ، فَتَعَجَّبَ مِنْ هَذَا

ٱلْمَنْظَرِ ٱلنَّادِرِ ٱلْمِثَالِ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ بُعْدٍ . فَشَاهَدَ فِي وَسَطِ ٱلْجَمْعِ ، فَأْرَةً كَبِيرَةً عَمْيَاءَ ، قَابِضَةً عَلَى طَرَفِ عُودٍ يَابِسٍ بِأَسْنَانِهَا ، وَبِجَانِبِهَا فَأْرَةٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ ، لَهَا عَيْنَانِ بَرَّاقَتَانِ ، وَقَدْ أَمْسَكَتِ ٱلْعُودَ مِنْ طَرَفِهِ ٱلثَّانِي ، لِتَقُودَ تِلْكَ ٱلْفَأْرَةَ ٱلْعَجُوزَ ٱلضَّرِيرَةَ ، إِلَى حَيْثُ يَتَوَجَّهُ ٱلْجَمْعُ .

فَٱنْظُرْ كَيْفَ أَلْهَمَ ٱللّٰهُ ذَلِكَ ٱلْحَيَوَانَ ٱلْأَعْجَمَ ، وَعَلَّمَهُ أَنْ يُعَاوِنَ ٱلْقَوِيُّ مِنْهُ ٱلضَّعِيفَ . وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْعُدُ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْعَاقِلُ ، عَنْ مَدِّ يَدِ ٱلْمَعُونَةِ وَٱلْمُسَاعَدَةِ ، إِلَى ذَوِي ٱلْحَاجَةِ مِنْ بَنِي جِنْسِهِ ؟ كَلَّا ! فَإِنَّ قَوِيَّ ٱلْيَوْمِ ، لَا بُدَّ أَنْ يُمْسِيَ ضَعِيفاً غَداً . وَمَتَى عَاوَنَ ٱلْمَرْءُ ٱلْقَوِيُّ أَخَاهُ ٱلضَّعِيفَ ، وَجَدَ مُعِيناً إِذَا نَزَلَ بِهِ ٱلضَّعْفُ . وَٱللّٰهُ فِي عَوْنِ ٱلْعَبْدِ ، مَا دَامَ ٱلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .

٣٦ ـ اَلطَّاوُسُ

اِخْتَالَ   اَلْآسُ   يَفْتِنُ   تَصَدَّى

جُلَّاسٌ   اَلْمَنْطِقُ   غَافِلٌ
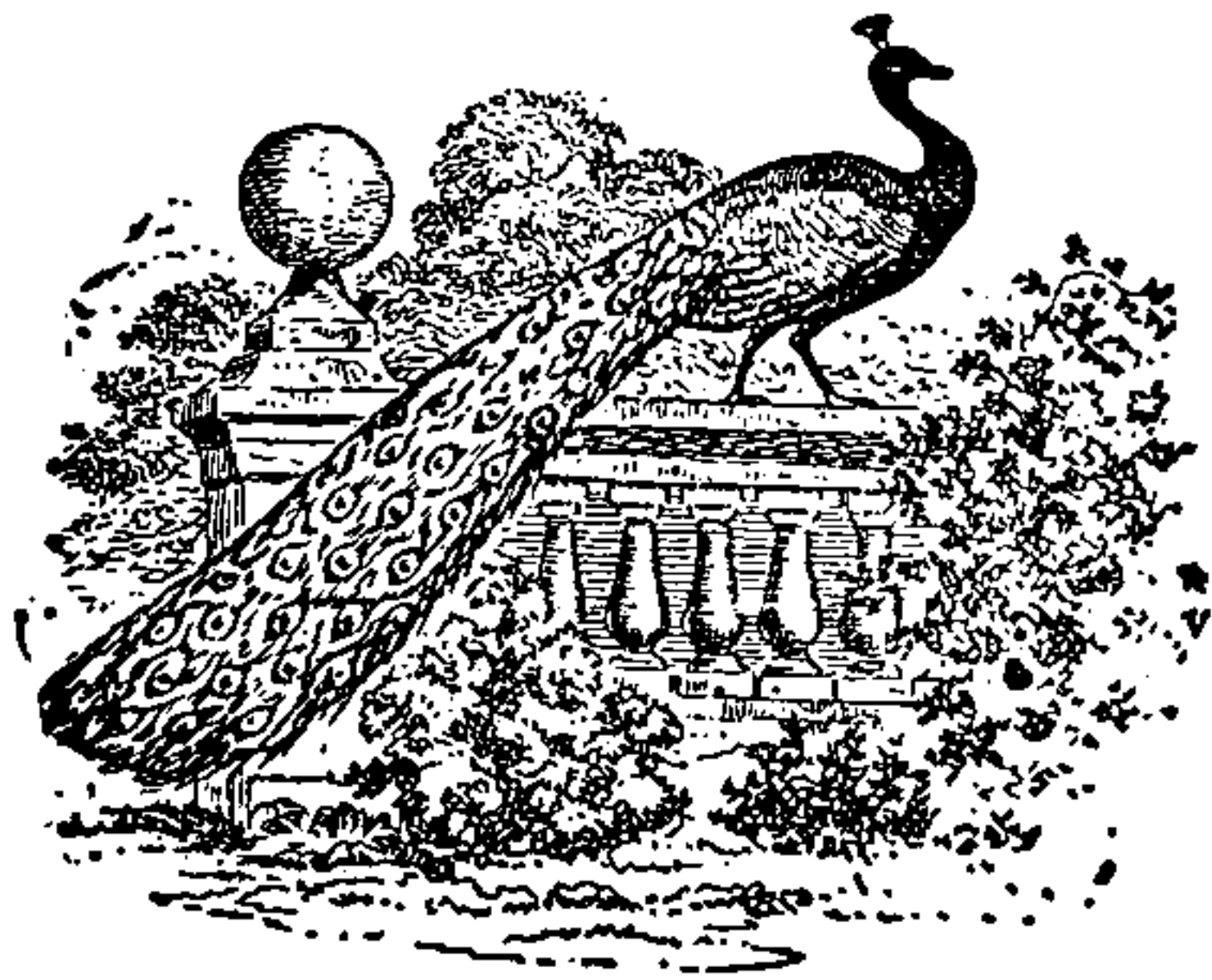
قَدْ أَظْهَرَ اُلطَّاوُسُ إِعْجَابَهُ ،

وَاُخْتَالَ بَيْنَ اُلْوَرْدِ وَاُلْآسِ ،

يَفْتِنُ اُلنَّاظِرَ فِي شَكْلِهِ ،

بِحُسْنِ رِيشِ اُلذَّيْلِ وَاُلرَّاسِ

لَكِنَّ عُصْفُورًا تَصَدَّى لَهُ

بِالذَّمِّ فِي صَحْبٍ وَجُلَّاسٍ ،

وَعَابَ مِنْهُ ٱلسَّاقَ فِي عُرْيِهَا ،

عَنْ ثَوْبِ رِيشٍ نَاعِمٍ كَاسِيْ .
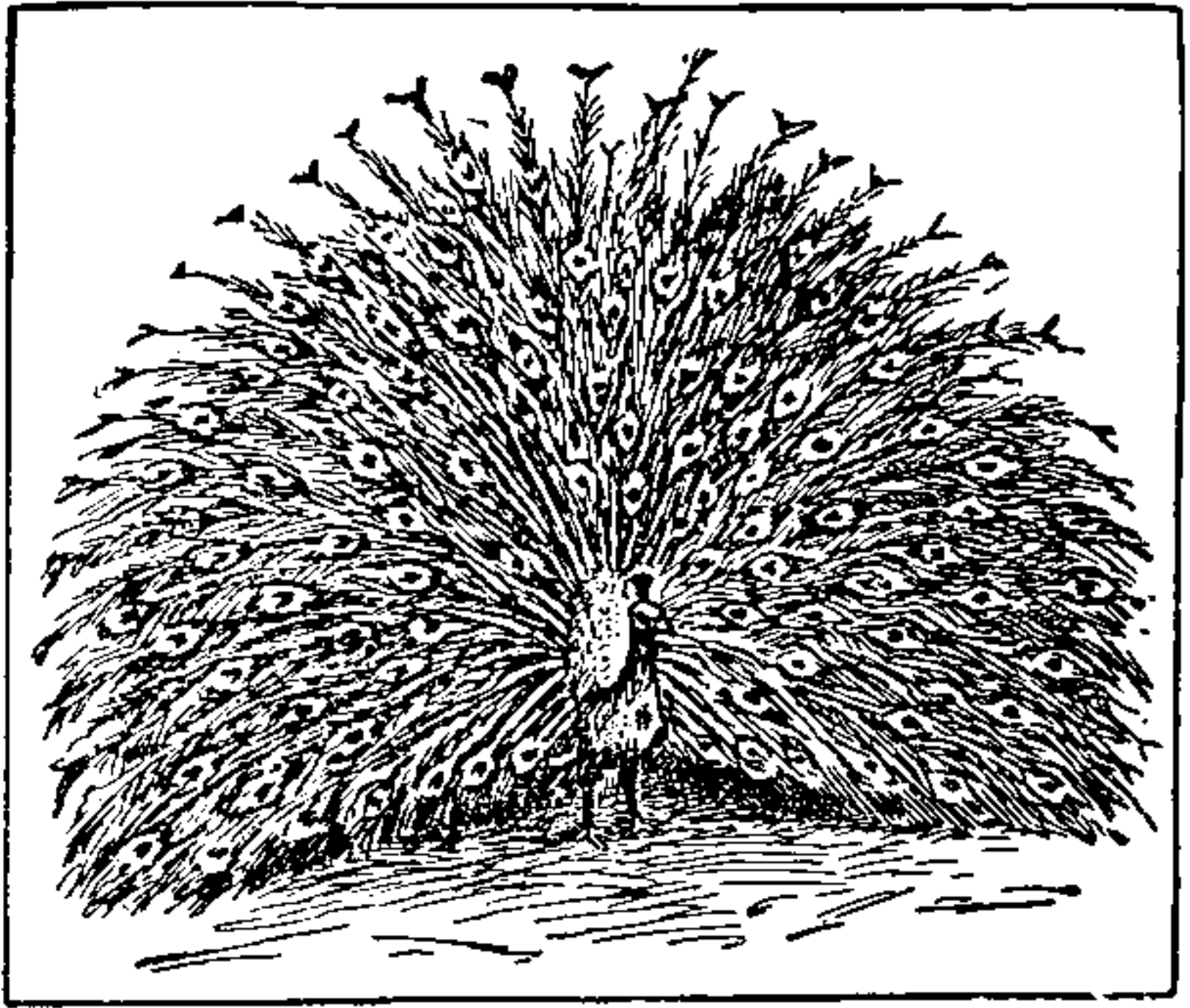
فَقَامَ مِنْ حَوْلِهِمَا طَائِرٌ ،

يَرْمِيهِمَا بِالْمَنْطِقِ ٱلْقَاسِي

فَقَالَ كُلٌّ مِنْكُمَا مُعْجَبٌ ،

وَغَافِلٌ عَنْ عَيْبِهِ نَاسِي .

لَوْ نَظَرَ ٱلنَّاسُ إِلَى عَيْبِهِمْ ،
مَا عَابَ إِنْسَانٌ عَلَى ٱلنَّاسِ .
(العرب)

٣٧ — قَصَبُ ٱلسُّكَّرِ (١)

رَحِيقٌ ٱلدَّوَابُّ غَادِيَةٌ
ٱلْحَاضِرَاتُ أَلْيَافٌ قَطَرَاتٌ
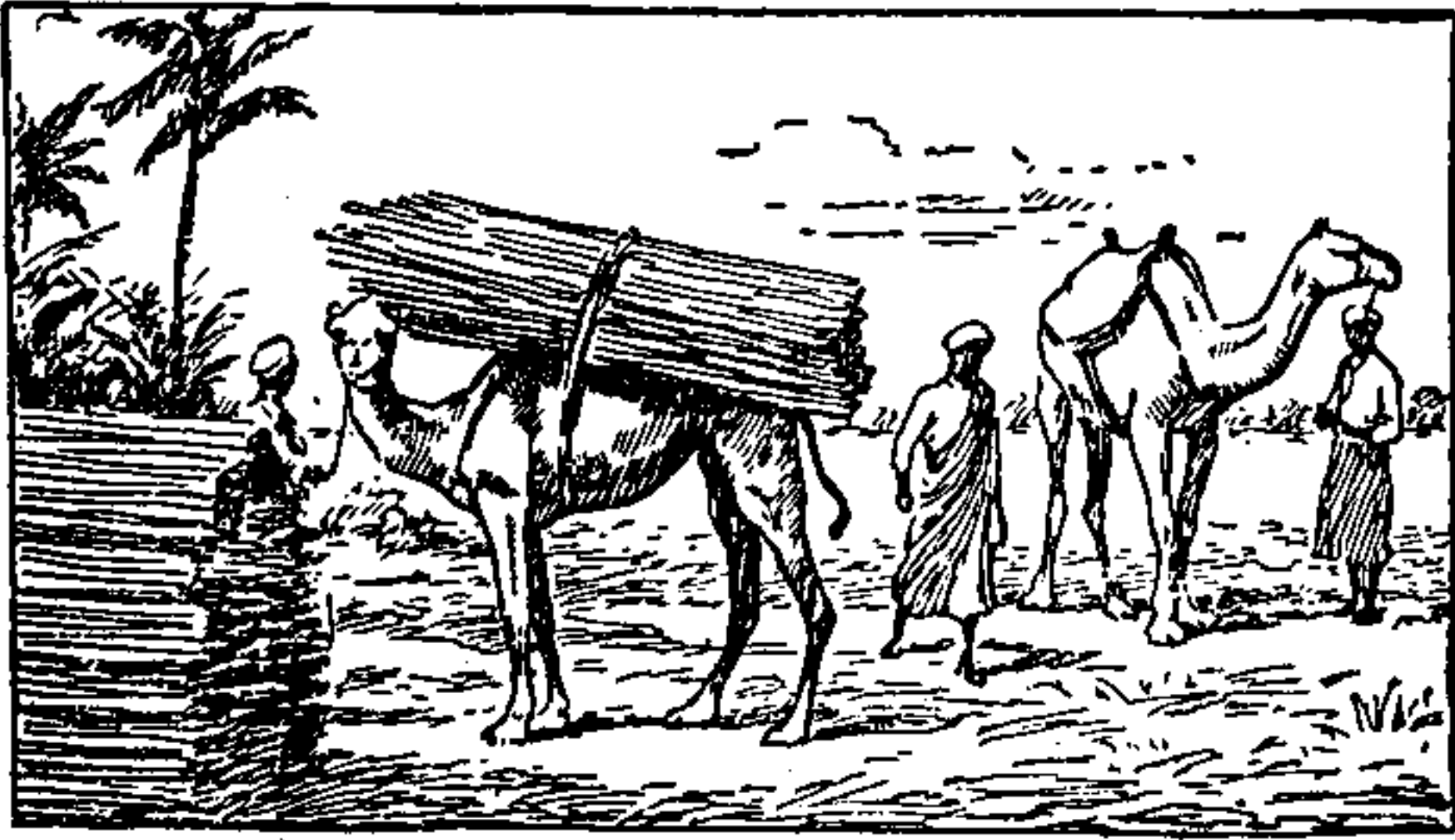
مِنْ أَوَائِلِ ٱلشِّتَاءِ ، يُرَى ٱلْأَطْفَالُ وَٱلْعَامَّةُ فِي ٱلطَّرِيقِ
سَائِرِينَ ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَعْوَادَ قَصَبِ ٱلسُّكَّرِ ، يَمَصُّونَ

رَحِيقَهُ ٱلْحُلْوَ ٱللَّذِيذَ . وَتُرَى ٱلدَّوَابُّ وَٱلْعَجَلَاتُ فِي جَمِيعِ جِهَاتِ ٱلْقُطْرِ ، غَادِيَةً رَائِحَةً ، تَحْمِلُ مَقَادِيرَ عَظِيمَةً مِنْ هَذَا ٱلْقَصَبِ إِلَى ٱلْمَدَائِنِ وَٱلْحَاضِرَاتِ . وَأَغْلَبُهُ
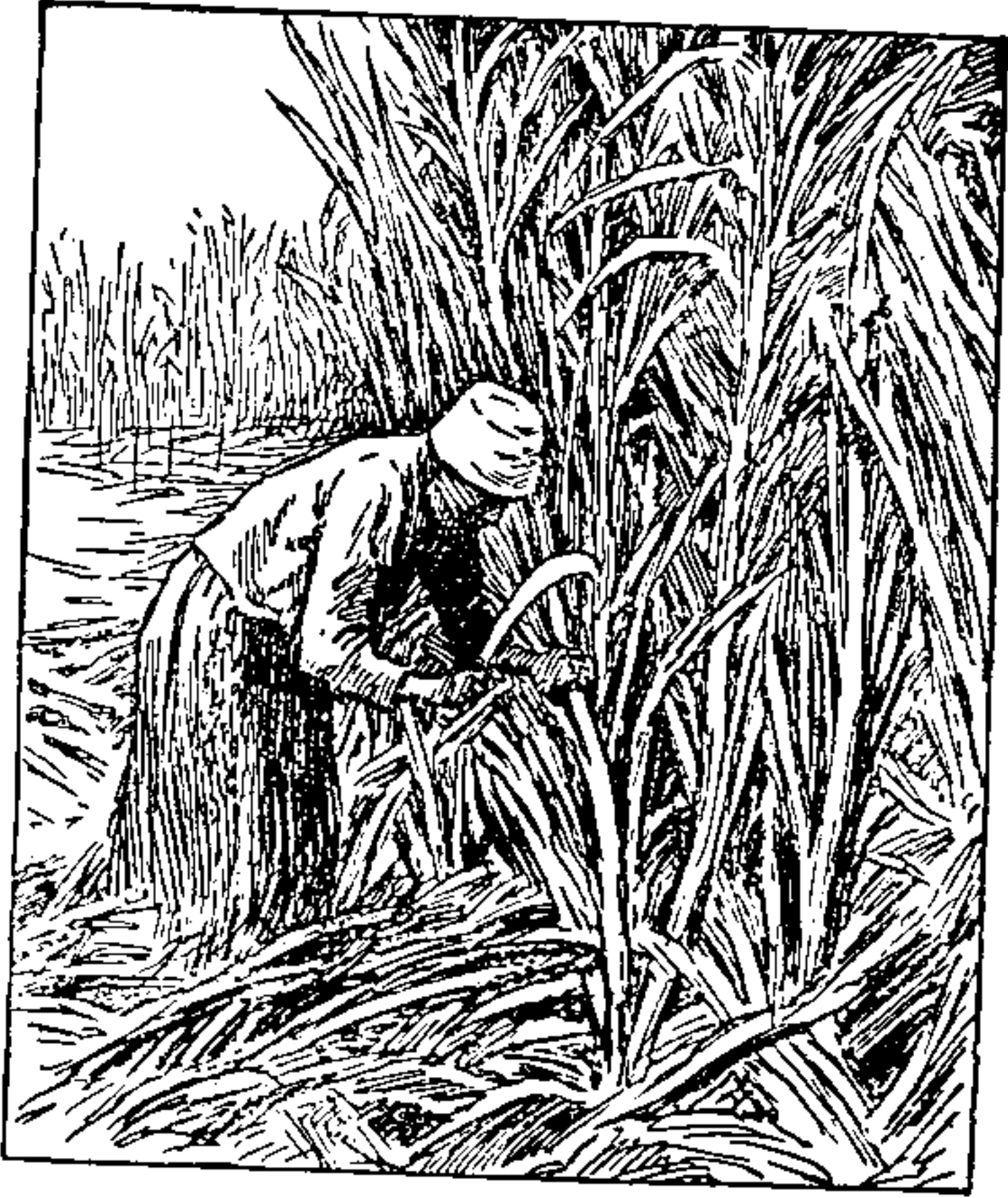
يُحْمَلُ مِنَ ٱلْمَزَارِعِ فِي ٱلْوَجْهِ ٱلْقِبْلِي إِلَى سِكَّةِ ٱلْحَدِيدِ ، لِيُسَفَّرَ إِلَى ٱلْمَعَاصِرِ فَيُصْنَعُ مِنْهُ ٱلسُّكَّرُ .

وَٱلْقَصَبُ أَعْوَادٌ طَوِيلَةٌ تَبْلُغُ ثَلَاثَةَ أَمْتَارٍ وَأَكْثَرَ .

وَيَحْتَوِى ٱلْعُودُ عَلَى عِدَّةِ قَصَبَاتٍ ، فِى نِهَايَةِ كُلِّ قَصَبَةٍ كَعْبٌ يَنْبُتُ فِيهِ بُرْعُمُهُ . وَحَوْلَهُ وَرَقٌ طَوِيلٌ أَخْضَرُ خَشِنٌ قَلِيلُ ٱلْعَرْضِ .

وَفِى جَوْفِ ٱلْعُودِ أَلْيَافٌ بِطُولِ ٱلْقَصَبَةِ ، تُحِيطُ بِهَا قَطَرَاتٌ مِنَ ٱلرَّحِيقِ ٱلْحُلْوِ لاَ تُحْصَى ، وَيَحُوطُهُ قِشْرٌ مَتِينٌ أَمْلَسُ ، لَوْنُهُ أَحْمَرُ أَوْ أَخْضَرُ أَوْ أَبْيَضُ أَوْ مُزَوَّقٌ .

٣٨ — قَصَبُ ٱلسُّكَّرِ (٢)

خُلْجَانٌ يُقْلَعُ حُذَّاقٌ ٱلْبَقْلُ
عُرْضَةٌ آفَةٌ تَنْخَرُ

يُزْرَعُ ٱلْقَصَبُ فِى أَوَائِلِ ٱلرَّبِيعِ ، فَتُحْرَثُ لَهُ ٱلْأَرْضُ ، وَتُخَطَّطُ خُطُوطاً مُسْتَقِيمَةً مُتَبَاعِداً بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ . ثُمَّ يُؤْتَى بِٱلْأَعْوَادِ ، وَتُمَدَّدُ عَلَى ٱلْخُطُوطِ عُوداً عُوداً وَتُدْفَنُ فِيهَا ، أَوْ تُقْطَعُ قِطَعاً وَتُغْرَسُ . وَيَنْسَابُ

عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ مِنْ خُلْجَانِهِ ، فَيَجْرِى فِى جَدَاوِلِهِ وَيَعُمُّ ٱلْخُطُوطَ لِإِرْوَائِهَا .

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ وَرَقٌ طَوِيلٌ أَخْضَرُ ، يَأْخُذُ فِى ٱلنَّمَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى يَنْشَأَ ٱلْعُودُ وَيَكْبَرَ إِلَى أَنْ يُدْرِكَ ، فَيُقْطَعَ وَيُنْقَلَ إِلَى ٱلْمَعَاصِرِ لِٱسْتِخْرَاجِ ٱلسُّكَّرِ مِنْهُ .

وَمِنْ حُذَّاقِ ٱلْفَلَّاحِينَ ، مَنْ يَزْرَعُ فَوْقَهُ شَيْئًا مِنَ ٱلْخُضَرِ وَٱلْبَقْلِ كَٱلْفَاصُولْيَا وَغَيْرِهَا لِيَنْتَفِعَ بِثَمَنِهِ ، ثُمَّ يَقْلَعَهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَتَى بَدَأَ نَبْتُ ٱلْقَصَبِ فِى ٱلظُّهُورِ .

وَٱلْقَصَبُ فِى زِرَاعَتِهِ عُرْضَةٌ لِآفَةٍ تَفْتِكُ بِهِ ، وَهِىَ دُودَةٌ تَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ جُذُورِهِ وَتَنْخُرُ فِيهِ نَخْرًا ، فَتَرَى ٱلْعُودَ قَائِمًا كَأَنَّهُ سَلِيمٌ ، وَإِذَا جَذَبْتَهُ خَرَجَ فِى يَدِكَ مِنْ غَيْرِ جُهْدٍ ، وَتَرَاهُ أَجْوَفَ كَأَنَّهُ أُنْبُوبَةٌ لَا شَىْءَ فِيهَا . وَيُزْرَعُ ٱلْقَصَبُ فِى صَعِيدِ مِصْرَ ، وَفِى جَزَائِرِ ٱلْهِنْدِ

اَلشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْرِيقَا ، لِأَنَّهَا كُلَّهَا أَمَاكِنُ حَارَّةٌ لَا يَصْلُحُ إِلاَّ فِيهَا .

٣٩ — عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ

قَرِينٌ	إِضْرَارٌ	تَمَكَّنَ	تَزِرُ
وَازِرَةٌ	يُدْرِى	ضَبَطَ	يُمْكِنُ

كَانَ زَرَّاعٌ يَرَى الْعَصَافِيرَ تَنْزِلُ فِي حَقْلٍ لَهُ، وَتَأْكُلُ الْقَمْحَ مِنْ سُنْبُلِهِ مَتَى أَدْرَكَ . وَكَانَ يَنْصِبُ لَهَا مِجْدَاراً لِكَيْ تَخَافَ مَتَى رَأَتْهُ فَتَبْعُدَ عَنِ الزَّرْعِ . وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَأْتِ بِفَائِدَةٍ ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَنَصَبَ لَهَا شَرَكًا لِيَصِيدَهَا وَيَقْتُلَهَا ، جَزَاءً عَلَى إِضْرَارِهَا بِزَرْعِهِ .

فَوَقَعَتْ فِي الشَّرَكِ وَزَّةٌ مَعَ الْعَصَافِيرِ . وَلَمَّا ذَهَبَ الرَّجُلُ لِيَأْخُذَهَا ، بَكَتِ الْوَزَّةُ بُكَاءً شَدِيداً ، وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُطْلِقَهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تُشَارِكْ صَاحِبَاتِهَا الْعَصَافِيرَ فِي

أَكْلِ ٱلْقَمْحِ ، وَلٰكِنَّهَا رَافَقَتْهُنَّ لِتَمَكُّنِ ٱلصَّدَاقَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُنَّ ، وَلَا ذَنْبَ لَهَا عِنْدَ ٱلزَّرَّاعِ يَأْخُذُهَا بِهِ ، وَلَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ أَنْ يُعَامِلَهَا كَمَا يُعَامِلُ ٱلْعَصَافِيرَ ٱلَّتِي آذَتْهُ ، وَٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى »

فَقَالَ لَهَا ٱلزَّرَّاعُ : « وَمَا يُدْرِينِي أَنَّكِ لَمْ تَأْكُلِي مِنْ قَمْحِي ، مَعَ رَفِيقَاتِكِ ٱلسَّارِقَاتِ ٱلنَّاهِبَاتِ ؟ بَلْ بِٱلْعَكْسِ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يُصَاحِبُ إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي ٱلْعَادَاتِ وَٱلْأَخْلَاقِ وَٱلْأَعْمَالِ . وَلَقَدْ ضَبَطْتُكِ ٱلْآنَ مَعَ ٱلْأَشْرَارِ فِي أَثْنَاءِ ٱلسَّرِقَةِ ، فَحَقَّ عَلَيْكِ عِقَابُهُمْ . وَمَا أَنَا إِلَّا إِنْسَانٌ كَسَائِرِ ٱلنَّاسِ ، لَا أَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ٱلْأَنْفُسُ ، وَمَا ٱسْتَتَرَ فِي ٱلْقُلُوبِ .

٤٠ — اَلْفِيلُ

اَلْغِيَاضُ   يَعُبُّ   يَقْتَلِعُ
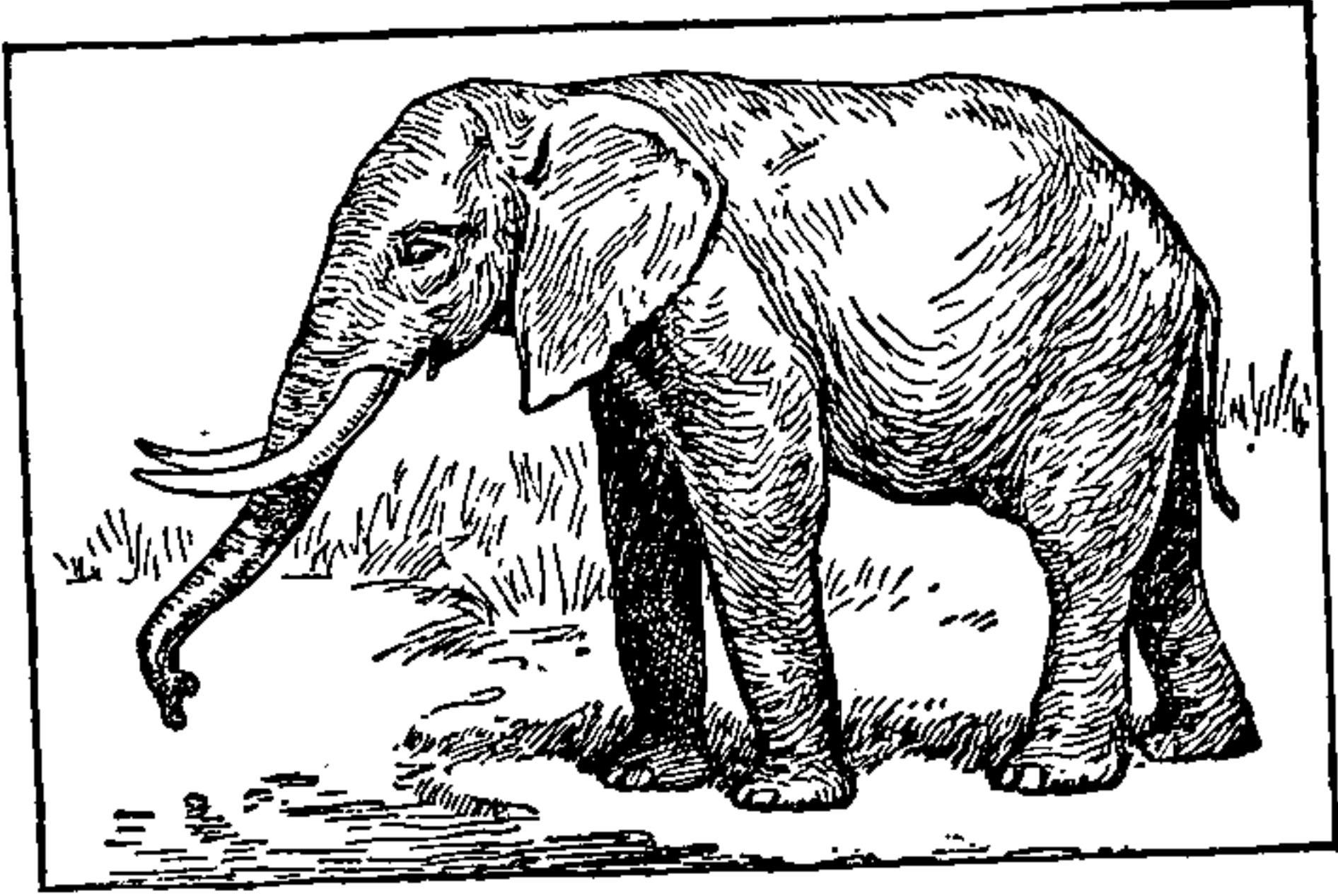
اَلْفِيلُ حَيَوَانٌ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ جُثَّةً ، وَأَشَدُّهَا بَأْسًا . وَمَوْطِنُهُ الْأَقَالِيمُ الْحَارَّةُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ وَآسِيَا ، وَيَكْثُرُ فِي جَزِيرَةِ سَيْلَانَ مِنْ أَعْمَالِ الْهِنْدِ ، وَيَسْكُنُ الْآجَامَ وَالْغِيَاضَ . وَهُوَ شَدِيدُ الْمَيْلِ إِلَى الْمَاءِ ، يُقِيمُ فِيهِ سَاعَاتٍ وَيَعُبُّهُ بِخُرْطُومِهِ ،

وَيُلقيهِ عَلَى جَسَدِهِ ، ثُمَّ يَتَمَرَّغُ عَلَى ٱلْأَرْضِ لِيَطْلِيَ جِسْمَهُ بِالطِّينِ ، حَتَّى لَا يُضَايِقَهُ ٱلذُّبَابُ .

وَلِكُلِّ طِوَالِ ٱلْأَرْجُلِ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ فِي ٱلْغَالِبِ أَعْنَاقٌ طَوِيلَةٌ ، لِيَسْهُلَ عَلَيْهَا تَنَاوُلُ طَعَامِهَا مِنَ ٱلْأَرْضِ . وَأَمَّا ٱلْفِيلُ ، فَلَمَّا كَانَتْ ضَخَامَةُ رَأْسِهِ تَسْتَلْزِمُ قِصَرَ عُنُقِهِ ، فَقَدْ مَدَّ ٱللهُ فِي أَنْفِهِ — وَهُوَ مَا نُسَمِّيهِ بِالْخُرْطُومِ — حَتَّى يَسْتَخْدِمَهُ فِيمَا يَسْتَخْدِمُ ٱلْإِنْسَانُ يَدَهُ ، فَيَتَنَاوَلُ بِهِ ٱلطَّعَامَ وَٱلْمَاءَ ، وَيُوَجِّهُهُ حَيْثُ شَاءَ . وَفِي طَرَفِهِ زَائِدَةٌ يَلْتَقِطُ بِهَا ٱلْأَشْيَاءَ ٱلدَّقِيقَةَ حَتَّى ٱلْإِبَرَ ، وَيَحُلُّ ٱلْأَحْبَالَ ٱلْمَعْقُودَةَ . وَلَهُ نَابَانِ كَبِيرَانِ ، يَبْرُزَانِ مِنْ فَكِّهِ ٱلْعُلْوِيِّ ، كَثِيرًا مَا يَبْلُغُ وَزْنُهُمَا ثَلَثَمِائَةِ رِطْلٍ ، وَبِهِمَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَيَقْتَلِعُ ٱلْأَشْجَارَ ، وَمِنْ أَجْلِهِمَا يُقْتَنَصُ ، لِأَنَّهُمَا غَالِيَا ٱلثَّمَنِ . وَجِلْدُ ٱلْفِيلِ غَلِيظٌ مَتِينٌ ، لَا يَكَادُ ٱلسَّيْفُ يَعْمَلُ فِيهِ . وَلَهُ أُذُنَانِ كَبِيرَتَانِ كَالْمَرَاوِحِ ، يُحَرِّكُهُمَا لِيَذُبَّ بِهِمَا ٱلذُّبَابَ . وَعَيْنَاهُ صَغِيرَتَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ضَخَامَةِ جِسْمِهِ .

وَيَسْتَأْنِسُهُ ٱلنَّاسُ فِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ خُصُوصًا ، فَيَسْتَخْدِمُونَهُ لِلرُّكُوبِ ، وَفِي ٱلْمَصَانِعِ لِنَقْلِ ٱلْأَثْقَالِ . وَهُوَ مُغْرَمٌ بِٱلْأَطْفَالِ ، يُلَاعِبُهُمْ وَيَحْرُسُهُمْ إِذَا نَزَلُوا فِي كَنَفِهِ .

٤١ — ٱلْعَاجُ

مُدْيَةٌ   اِنْتَهَزَ   عَجَزَ   مُتَقَوِّسَةٌ
تَحْضُرُ   بَيْضِيَّةٌ   مُسْتَعْلِمٌ   ٱلسَّرَنْدِيبِيُّ

ذَهَبَ إِسْمَاعِيلُ مَعَ أَخِيهِ ٱلصَّغِيرِ إِلَى دُكَّانٍ لِيَشْتَرِيَ مُدْيَةً ، وَطَلَبَ مِنَ ٱلْبَائِعِ أَنْ يَأْتِيَهُ بِمُدْيَةٍ لَهَا يَدٌ مِنَ ٱلْعَاجِ .

فَٱنْتَهَزَ ٱلْبَائِعُ فُرْصَةَ صِغَرِ سِنِّهِ ، وَأَحْضَرَ لَهُ مُدْيَةً يَدُهَا مِنَ ٱلْعَظْمِ . فَلَمَّا رَآهَا إِسْمَاعِيلُ رَدَّهَا وَقَالَ : « إِنِّي لَا أَطْلُبُ مُدْيَةً بِيَدٍ مِنَ ٱلْعَظْمِ » . فَأَخَذَهَا أَخُوهُ وَسَأَلَهُ قَائِلاً : « كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا عَظْمٌ لَا عَاجٌ ؟ » فَٱنْتَظَرَ

إسْمَاعِيلُ ، حَتَّى أَتَاهُ ٱلتَّاجِرُ بِمُدْيَةٍ لَهَا يَدٌ مِنَ ٱلْعَاجِ . وَبَعْدَ أَنْ قَلَّبَهَا أَعْطَاهَا لِأَخِيهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْتَحِنَ ٱلِاثْنَتَيْنِ ، وَيَرَى بِنَفْسِهِ ٱلْفَرْقَ ؛ وَلَكِنَّهُ عَجَزَ عَنْ إِدْرَاكِهِ .

فَأَخَذَ إِسْمَاعِيلُ ٱلْمُدْيَتَيْنِ ، وَوَجَّهَ نَظَرَ أَخِيهِ إِلَى إِحْدَى ٱلْيَدَيْنِ ، وَبَيَّنَ لَهُ فِيهَا خُطُوطاً دَقِيقَةً مُتَقَوِّسَةً ، ذَاتَ لَوْنٍ يُخَالِفُ لَوْنَ ٱلْيَدِ ، تَحْصُرُ بَيْنَهَا أَشْكَالاً دَقِيقَةً بَيْضِيَّةً . وَقَالَ : « هَذَا هُوَ ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْعَظْمِ وَٱلْعَاجِ » . وَزَادَ أَنَّ ٱلْعَاجَ أَثْقَلُ مِنَ ٱلْعَظْمِ ، وَأَقْبَلُ مِنْهُ لِلصَّقْلِ . وَهُوَ ٱلْمَادَّةُ ٱلْوَحِيدَةُ ، ٱلَّتِي تُسْتَخْرَجُ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ، وَفِيهَا مِثْلُ هَذِهِ ٱلْخُطُوطِ .

ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى ٱلتَّاجِرِ مُسْتَعْلِماً عَنِ ٱلثَّمَنِ ، وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَٱنْصَرَفَ مَعَ أَخِيهِ يُحَادِثُهُ عَلَى ٱلْعَاجِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يُحَصَّلُ مِنْ أَنْيَابِ ٱلْفِيَلَةِ ، وَأَنَّ خَيْرَهُ مَا كَانَ مِنْ أَفْيَالِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَيَلِيهِ فِي ٱلْجَوْدَةِ ٱلسَّرَنْدِيبِيُّ ، ثُمَّ ٱلْهِنْدِيُّ

٤٢ — اَلْقِطَّانِ

اَللَّهْوُ   اَلْعَدْوُ   اَلِائْتِلَافُ   كَشَرَ
اِنْطَلَقَ   تَلَاحَقَ   اَلسِّبَابُ   اَلنِّزَاعُ

كَانَ قِطَّانِ أَخَوَانِ ، يَسْكُنَانِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ . وَكَانَا صَغِيرَيْنِ ، يُحِبَّانِ اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ ، فَيَخْرُجَانِ إِلَى حَدِيقَةِ الْبَيْتِ ، وَيَتَسَابَقَانِ فِي الْعَدْوِ وَالْوَثْبِ ، وَهُمَا فِي غَايَةِ السُّرُورِ وَالِائْتِلَافِ .

وَبَيْنَمَا هَذَانِ الْقِطَّانِ يَلْعَبَانِ ، إِذْ رَأَى أَحَدُهُمَا فَأْرَةً عَلَى بُعْدٍ . فَرَفَعَ أُذُنَيْهِ ، وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ الصَّغِيرَةِ ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ فَرِيسَتِهِ ، وَاعِدًا نَفْسَهُ بِصَيْدٍ سَمِينٍ . وَلَكِنَّهُ مَا كَادَ يَجْرِي خَطَوَاتٍ ، حَتَّى رَأَى أَخَاهُ يَعْدُو نَحْوَ تِلْكَ الْفَأْرَةِ الْمِسْكِينَةِ . فَتَلَاحَقَ الْقِطَّانِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَاهَا ، وَأَبَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ أَخُوهُ الْفَائِزَ بِالصَّيْدِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَمْنَعَهُ . فَعَلَا بَيْنَهُمَا الْخِصَامُ وَالسِّبَابُ ، وَأَخِيرًا

انْقَلَبَ الْحَالُ إِلَى عِرَاكٍ شَدِيدٍ ، وَعَضٍّ وَخَمْشٍ وَتَجْرِيحٍ ، حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْهُمَا جَمِيعاً .

وَأَمَّا الْفَأْرَةُ ، فَإِنَّهَا لَمَّا رَأَتْ مَا وَقَعَ بَيْنَ عَدُوَّيْهَا مِنَ الْخِصَامِ وَالشِّجَارِ ، هَرَبَتْ إِلَى جُحْرِهَا آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ، وَهِيَ تَحْمَدُ اللهَ عَلَى سَلَامَتِهَا ، بِسَبَبِ النِّزَاعِ الَّذِي قَامَ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ جَهْلاً وَغَبَاوَةً . وَلَوْ اتَّفَقَا عَلَى صَيْدِهَا ، لَقَبَضَا عَلَيْهَا بِدُونِ أَنْ تَسْتَطِيعَ مِنْهُمَا خَلَاصاً .

٤٣ — الْقَنَاطِرُ الْخَيْرِيَّةُ

مَنِيعٌ	اِخْتَطَّ	مُصْلِحٌ	يَسُدُّ	الْفَيَضَانُ
بِقَدَرٍ	يَحْجِزُ	جَنَّةٌ	فَسِيحَةٌ	مَفْرِقٌ

يَجْرِي النِّيلُ أَيَّامَ الْفَيَضَانِ بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَحْمِلُ مِقْدَاراً كَبِيراً مِنَ الْمَاءِ يَرْمِيهِ فِي الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ ، بِغَيْرِ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَى الْبِلَادِ . وَإِذَا جَاءَتْ أَيَّامُ التَّحَارِيقِ ،

لَمْ يَجِدِ ٱلْفَلاحُ مِنَ ٱلْمَاءِ مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُ
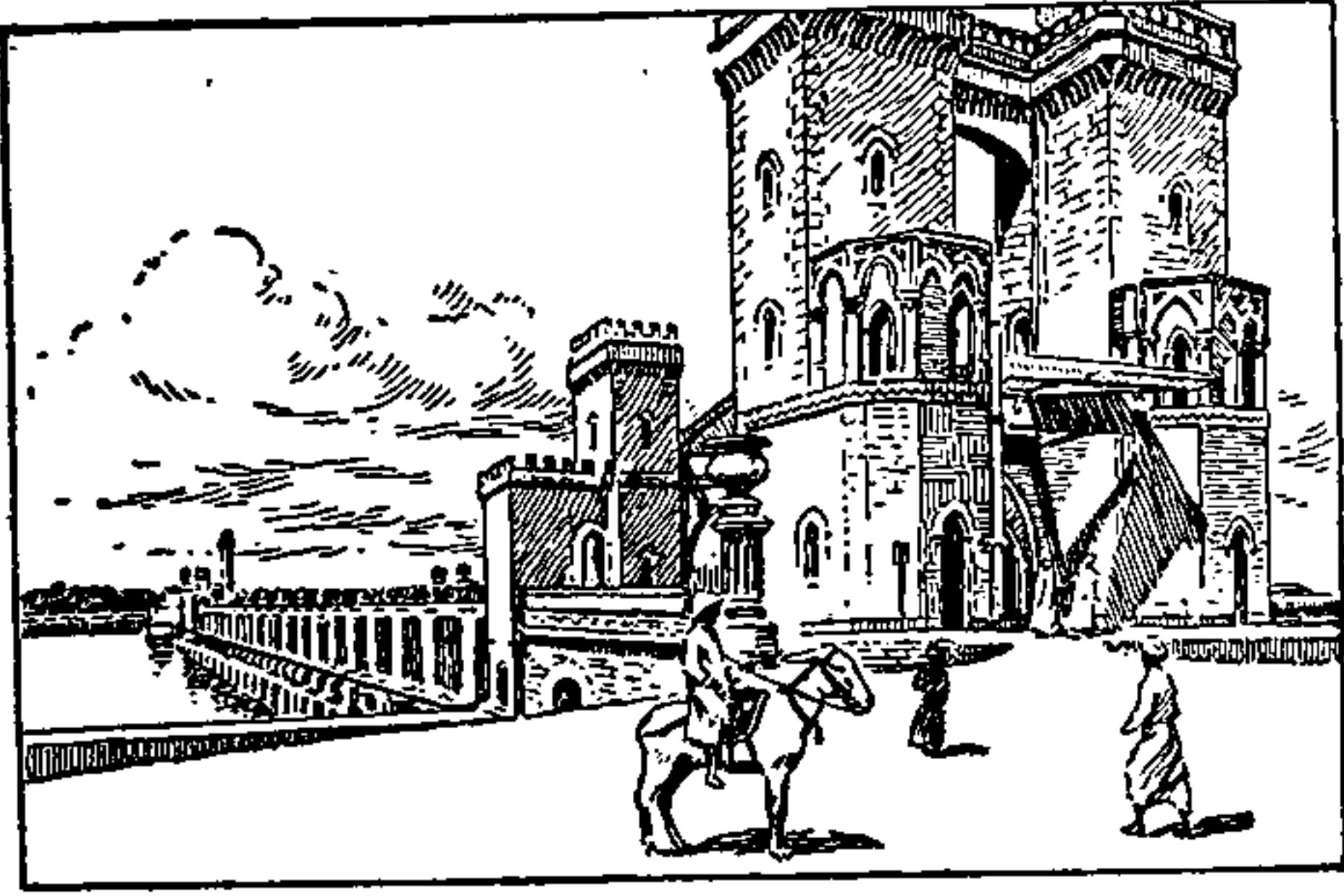
رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ عَلِيّ بَاشَا وَالِي مِصْرَ وَمُصْلِحُهَا ٱلْكَبِيرُ، فَأَتَى بِالْمُهَنْدِسِ ٱلْبَارِعِ لِينَانَ بَاشَا سَنَةَ ١٨٣٥، فَٱخْتَطَّ سَدًّا مَنِيعاً شَمَالَ ٱلْقَاهِرَةِ، عِنْدَ مَفْرِقِ ٱلنِّيلِ إِلَى فَرْعَيْهِ، فِيهِ عُيُونٌ تُفْتَحُ وَتُقْفَلُ بِحَسَبِ ٱلْحَاجَةِ؛ وَحَفَرَ بِجَانِبِهَا تُرَعاً عَظِيمَةً وَاسِعَةً، تَجْرِي إِلَى قَلْبِ ٱلْوَجْهِ ٱلْبَحْرِيِّ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَنَوَاحِيهِ، ثُمَّ فَرَّعَ مِنْهَا فُرُوعاً أُخْرَى تَجْرِي وَتَتَشَعَّبُ، كَأَنَّهَا ٱلْعُرُوقُ فِي جَوْفِ ٱلْبِلَادِ؛

وَجَعَلَ فَوْقَهَا طُرُقًا فَسِيحَةً كَهَيْئَةِ قَنَاطِرَ ، وَغُرِسَتِ الْأَشْجَارُ وَالرَّيَاحِينُ فِيمَا جَاوَرَهَا مِنَ الْأَرَاضِي ، فَصَارَتْ جَنَّةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، تَشْرَحُ الصَّدْرَ وَتُقِرُّ الْعَيْنَ ؛ وَسُمِّيَتْ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ بِالْقَنَاطِرِ الْخَيْرِيَّةِ ، لِمَا تَجْلِبُهُ مِنَ الْخَيْرِ عَلَى الْفَلَّاحِ . وَلَمَّا كَثُرَتْ هَذِهِ الْقَنَاطِرُ فِي الْقُطْرِ ، سُمِّيَتْ أَخِيرًا قَنَاطِرَ الدِّلْتَا .

بَنَى هَذِهِ الْقَنَاطِرَ الْمُهَنْدِسَانِ الْمَاهِرَانِ مَظْهَرُ بِكْ وَمُوجِيلُ بِكْ وَعَمِلَا فِيهَا خَمْسَ قَنَاطِرَ : وَاحِدَةً عَلَى كُلٍّ مِنْ فَرْعَيِ النِّيلِ ، وَوَاحِدَةً عَلَى كُلٍّ مِنَ الرَّيَّاحِ التَّوْفِيقِيِّ وَرَيَّاحِ الْمُنُوفِيَّةِ وَرَيَّاحِ الْبُحَيْرَةِ . وَمَاءُ النِّيلِ يُحْجَزُ جَنُوبَهَا وَيُوَزَّعُ عَلَى الْأَرَاضِي بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَبِذَلِكَ انْتَظَمَ حَالُ الرَّيِّ فِي الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ .

٤٤ — اَلسَّمَكُ

اِخْتَنَقَ زَعَانِفُ سُكَّانٌ نُفَّاخَتَانِ
هَبَطَ اَلشُّعُوبُ فُلُوسٌ
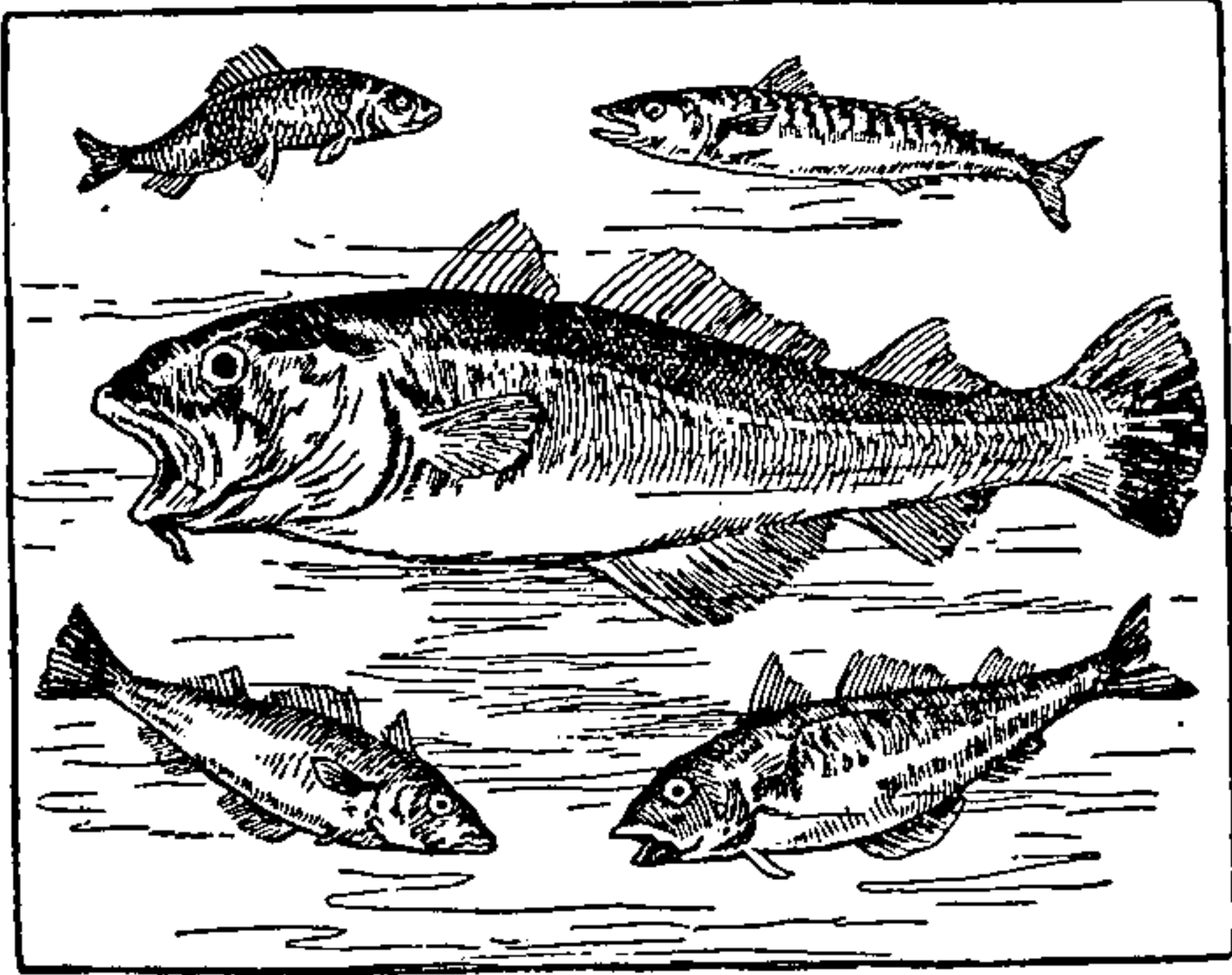
اَلسَّمَكُ حَيَوَانٌ لا يَعِيشُ إلاَّ فِي اَلْمَاءِ ، وَإِذَا أُخْرِجَ إِلَى اَلْأَرْضِ اُخْتَنَقَ وَمَاتَ . وَهُوَ عَرِيضٌ مِنْ وَسَطِهِ يَتَدَرَّجُ فِي اَلدِّقَّةِ نَحْوَ اَلرَّأْسِ وَاَلذَّنَبِ ، لِيُمْكِنَهُ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ فِي اَلْمَاءِ وَيَسِيرَ بِسُهُولَةٍ عَظِيمَةٍ . وَلِهَذَا اَلسَّبَبِ بَنَى اَلنَّاسُ سُفُنَهُمْ دَقِيقَةَ اَلطَّرَفَيْنِ .

وَلِلسَّمَكِ خَمْسُ زَعَانِفَ : وَاحِدَةٌ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وَأَرْبَعٌ فِي جَانِبَيْ بَطْنِهِ ، اثْنَتَانِ أَمَامَ وَاثْنَتَانِ خَلْفَ ، يُحَرِّكُهَا جَمِيعاً لِلسِّبَاحَةِ . وَيُحَرِّكُ ذَنَبَهُ كَذَلِكَ لِيَزِيدَ سُرْعَتَهُ ، وَلِيَكُونَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ سُكَّانٍ يُوَجِّهُهُ كَيْفَمَا شَاءَ . وَفِي جَوْفِهِ نُفَّاخَتَانِ مُمْتَلِئَتَانِ بِالْهَوَاءِ ، إِذَا نَفَخَهُمَا خَفَّ وَصَعِدَ فِي الْمَاءِ ، وَإِذَا ضَغَطَهُمَا ثَقُلَ وَهَبَطَ .

وَجِلْدُ السَّمَكِ مُغَطًّى بِفُلُوسٍ كَثِيرَةٍ صُلْبَةٍ ، تَلْمَعُ كَلَمَعَانِ الصَّدَفِ . وَهَذِهِ الْفُلُوسُ تَمْنَعُ أَلَمَ الِاصْطِدَامِ بِالْحِجَارَةِ وَالشُّعَبِ . وَلَهُ أَسْنَانٌ حَادَّةٌ قَاطِعَةٌ فِي فَكَّيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَمْضُغُ طَعَامَهُ .

وَيَتَوَلَّدُ فِي جَوْفِهِ شِبْهُ بَيْضٍ كَثِيرِ الْعَدَدِ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ بَقَّهُ مِنْ فِيهِ فِي الْمَاءِ ، فَلَا يَمْضِي عَلَيْهِ زَمَنٌ إِلَّا وَقَدِ انْقَلَبَ سَمَكاً صَغِيراً ، فَيَتَرَامَى عَلَيْهِ كَبِيرُ السَّمَكِ وَيَأْكُلُ كَثِيراً مِنْهُ .

وَأَنْوَاعُ ٱلسَّمَكِ كَثِيرَةٌ لَا يُدْرِكُهَا حَصْرٌ ، فَمِنْهَا ٱلطَّوِيلُ وَٱلْعَرِيضُ وَٱلْكَبِيرُ وَٱلصَّغِيرُ ، وَمَا كَانَ رَأْسُهُ يُمَاثِلُ رُءُوسَ بَعْضِ صُنُوفِ ٱلْحَيَوَانِ ، وَمَا كَانَ مُؤْذِيًا يَأْكُلُ ٱلنَّاسَ، وَمَا كَانَ لَيِّنًا يَعِيشُ فِي مَحَارٍ مِنَ ٱلصَّدَفِ، يَفْتَحُهُ وَيُقْفِلُهُ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ .

٤٥ — اَلْخَادِمُ وَٱلسَّمَكَةُ

زِحَامٌ	دَفَعَ	حَقَارَةٌ	اِنْصِرَافٌ
تَغَيَّظَ	يَكِيدُ	نَتِنٌ	اَلْحَدِيثَةُ

أَرْسَلَ سَيِّدٌ خَادِمَهُ لِيَشْتَرِيَ لَهُ سَمَكًا مِنَ ٱلسُّوقِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ ، وَجَدَ زِحَامَ ٱلْمُشْتَرِينَ شَدِيدًا ، فَوَقَفَ بُرْهَةً يَنْتَظِرُ خِفَّةَ ٱلزِّحَامِ، وَٱلنَّاسُ يَتَسَابَقُونَ إِلَى ٱلشِّرَاءِ بِلَا تَرْتِيبٍ . فَلَمَّا طَالَ ٱنْتِظَارُهُ دَفَعَ إِلَى دَاخِلِ ٱلْحَانُوتِ ، وَقَبَضَ عَلَى سَمَكَةٍ وَرَجَا مِنَ ٱلْبَائِعِ أَنْ يَزِنَهَا لَهُ وَيُخْبِرَهُ بِثَمَنِهَا .

وَلَمَّا لَمْ يَلْتَفِتِ ٱلسَّمَّاكُ إِلَيْهِ لِحَقَارَةِ ثِيَابِهِ ، كَرَّرَ عَلَيْهِ ٱلطَّلَبَ ، فَلَمْ يَزْدَدْ إِلاَّ ٱنْصِرَافاً عَنْهُ . فَتَغَيَّظَ ٱلْخَادِمُ مِنْ مُعَامَلَةِ ٱلْبَائِعِ لَهُ ، وَدَبَّرَ فِي نَفْسِهِ حِيلَةً لَطِيفَةً يَكِيدُ بِهَا لَهُ .

فَأَخَذَ سَمَكَةً وَقَرَّبَهَا مِنْ أَنْفِهِ كَأَنَّهُ يَشُمُّهَا ، فَاغْتَاظَ ٱلْبَائِعُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ غَاضِباً : « لِمَاذَا تَشُمُّ سَمَكِي أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ وَلَيْسَ عِنْدِي سَمَكٌ نَتِنٌ ؟ أُتْرُكِ ٱلسَّمَكَ إِنْ لَمْ يُعْجِبْكَ ، وَٱرْحَلْ عَنِّي وَرِزْقِي عَلَى ٱللهِ . »

فَقَالَ ٱلْخَادِمُ : أَنَا لاَ أَشُمُّ هَذِهِ ٱلسَّمَكَةَ ، وَلَكِنِّي أَسْمَعُ مِنْهَا ٱلْجَوَابَ عَنْ سُؤَالٍ أَلْقَيْتُهُ عَلَيْهَا . »

فَقَالَ ٱلسَّمَّاكُ : « مَاذَا سَأَلْتَهَا وَبِمَاذَا أَجَابَتْكَ ؟ »

فَقَالَ ٱلْخَادِمُ : « سَأَلْتُهَا هَلْ رَأَتْ أَخِي ٱلَّذِي غَرِقَ فِي ٱلْبَحْرِ مُنْذُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فَأَجَابَتْ أَنَّهَا لاَ تَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ أَخْبَارِ ٱلْبَحْرِ ٱلْحَدِيثَةِ ، لِأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْهُ مُنْذُ أُسْبُوعَيْنِ . »

٤٦ — مِشْيَةُ ٱلْغُرَابِ

اَلْخَالِي دَهَى حُدُودٌ يَبْتَغِي اَلضِّدُّ

كَانَ ٱلْغُرَابُ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْخَالِي
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْـهِ بِٱعْتِدَالِ
فَأَبْصَرَ ٱلْعُصْفُورَ يَوْماً يَلْعَبُ
وَقَدْ دَهَى عَقْلَ ٱلْغُرَابِ ٱلْعَجَبُ
فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَحْسِنُ ٱلْتِفَاتَهْ
وَقَفْزَهُ حِينَ مَشَى وَفَاتَهْ
وَفَكَّرَ ٱلْغُرَابُ فِي تَلَفُّتِهْ
وَطَيْرِهِ وَوَثْبِهِ وَخِفَّتِـهْ
وَأَكَّدَ ٱلْعَزْمَ عَلَى تَقْلِيدِهْ
وَحَاوَلَ ٱلْخُرُوجَ عَنْ حُدُودِهْ
نَخَابَ مِنْهُ ٱلسَّعْيُ بَعْدَ زَمَنِ
مُطَوَّلٍ قَضَاهُ فِي ٱلتَّمَرُّنِ

وَعَادَ لِلْوَضْعِ ٱلْقَدِيمِ ٱلْأَوَّلِ
وَمَا شَفَى ٱلنَّفسَ بِنَيْلِ ٱلْأَمَلِ
لَكِنَّهُ قَدْ نَسِىَ ٱلتَّمَشِّى
وَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَمْشِى
وَهَكَذَا مَنْ يَبْتَغِى ٱلضِّدَّ لِمَا
فِى طَبْعِهِ يَضِيعُ مَا بَيْنَهُمَا

(المطالعة المصرية)

٤٧ — اَلذِّئْبُ

أَطْلَسُ ٱلْخَطْمُ اَلضَّوَارِى أَشْرَسُ اَلْعُوَاءِ
تِجَاهَ يَقْظَى إِقْدَامٌ وَهْمٌ

اَلذِّئْبُ حَيَوَانٌ يُشْبِهُ ٱلْكَلْبَ، وَلَكِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ وَهُوَ أَطْلَسُ ٱللَّوْنِ أَوْ أَصْفَرُهُ، طَوِيلُ ٱلْخَطْمِ، أَفْطَسُ ٱلْأَنْفِ، وَحَاسَّةُ ٱلشَّمِّ قَوِيَّةٌ جِدًّا عِنْدَهُ، حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ
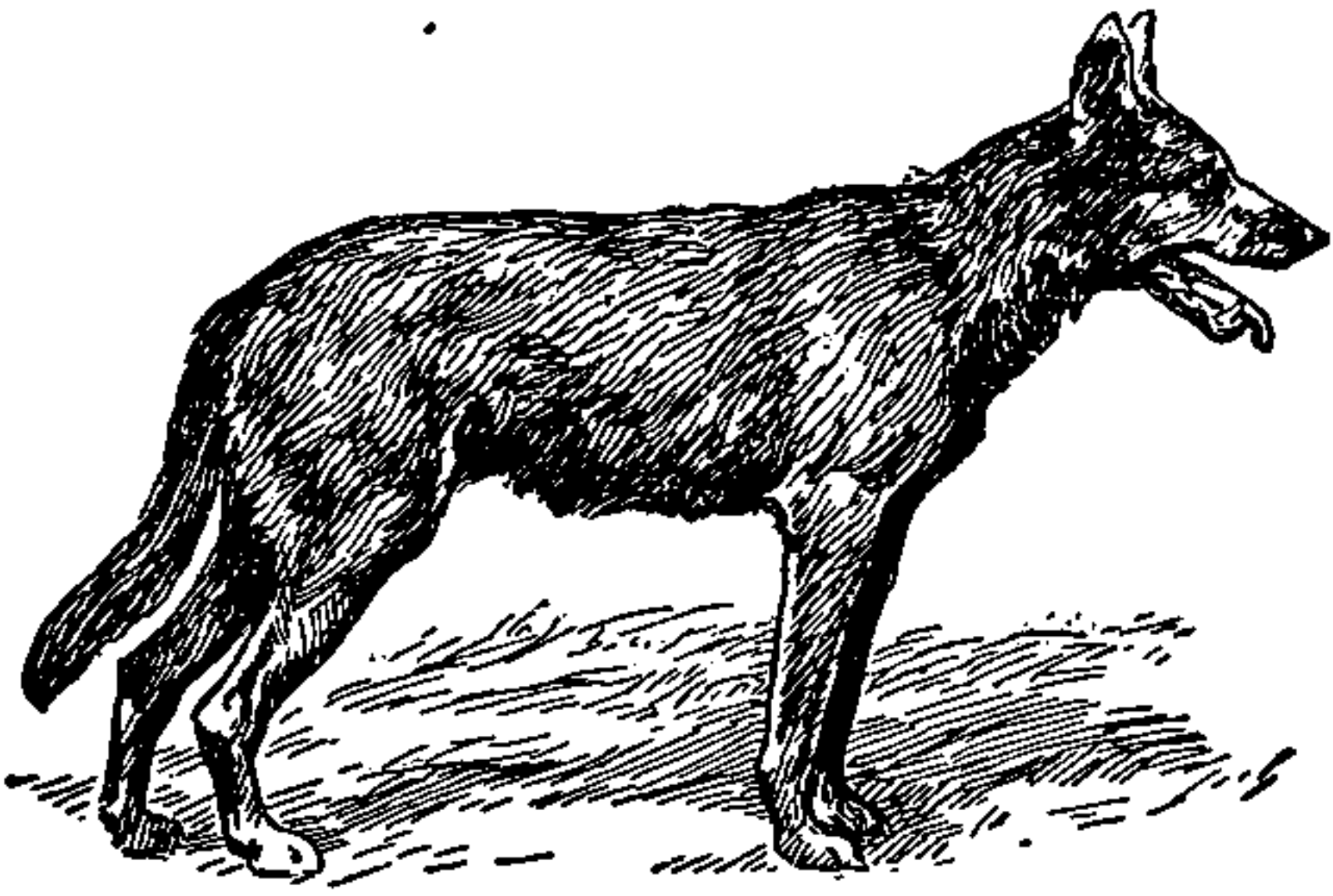
يُدْرِكُ ٱلْأَشْيَاءَ بِرَائِحَتِهَا عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَهُوَ مِنْ ضَوَارِي ٱلْحَيَوَانِ وَمِنْ أَشْرَسِهِ وَأَكْثَرِهِ إِضْرَاراً بِالْغَنَمِ .

وَمِنْ طِبَاعِهِ ٱلْخِيَانَةُ وَكَثْرَةُ ٱلْعُوَاءِ إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلْجُوعُ . فَإِذَا عَوَى ٱجْتَمَعَتِ ٱلذِّئَابُ وَوَقَفَ بَعْضُهَا تِجَاهَ بَعْضٍ ، فَإِذَا هَرَبَ أَحَدُهَا وَثَبَتْ عَلَيْهِ جَمِيعاً وَأَكَلَتْهُ .

وَيَزْعُمُ ٱلْعَرَبُ أَنَّ ٱلذِّئْبَ يَنَامُ وَإِحْدَى عَيْنَيْهِ مُقْفَلَةٌ وَٱلْأُخْرَى يَقْظَى ، فَإِذَا ٱكْتَفَتِ ٱلْعَيْنُ ٱلنَّائِمَةُ ، فَتَحَهَا وَنَامَ بِٱلْأُخْرَى . وَهَذَا ٱلزَّعْمُ وَهْمٌ بَاطِلٌ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى شِدَّةِ حِرْصِهِ . وَمِنْ طَبْعِهِ أَيْضًا ٱلْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ

لَا يَخْرُجُ لِلصَّيْدِ إِلَّا جَمَاعَاتٍ ، وَإِذَا رَأَى مِنَ ٱلْإِنْسَانِ إِقْدَامًا عَلَيْهِ ، خَافَ وَفَرَّ هَارِبًا . وَمِنْ عَادَاتِهِ أَنَّهُ لَا يَعُودُ إِلَى فَرِيسَتِهِ ، إِذَا أَكَلَ مِنْهَا وَشَبِعَ . وَإِذَا أَحَسَّتِ ٱلذِّئَابُ بِمَرَضِ أَحَدِهَا أَكَلَتْهُ .

وَٱلذِّئْبُ عَدُوٌّ لَدُودٌ لِلْفَلَّاحِ ، يَقْتُلُ غَنَمَهُ وَيَأْكُلُهَا كُلَّمَا وَجَدَ لَهُ فُرْصَةً . وَيَهْجِمُ عَلَى صِغَارِ ٱلْأَطْفَالِ يَعَضُّهُمْ وَيَنْهَشُ مِنْ لَحْمِهِمْ نَهْشًا ، وَإِذَا رَأَى ٱلْكِلَابَ ، أَوْ سَمِعَ نُبَاحَهَا ، وَلَّى وَعَادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى .

٤٨ — مُحَمَّدُ عَلِيٍّ بَاشَا

سَرَاوِيلُ   وَضَّاحٌ   شَارِبَانِ   لِحْيَةٌ   إِحْيَاء

مُؤَسِّسٌ   وَالٍ   لَبَّى   اَلثِّيَابُ
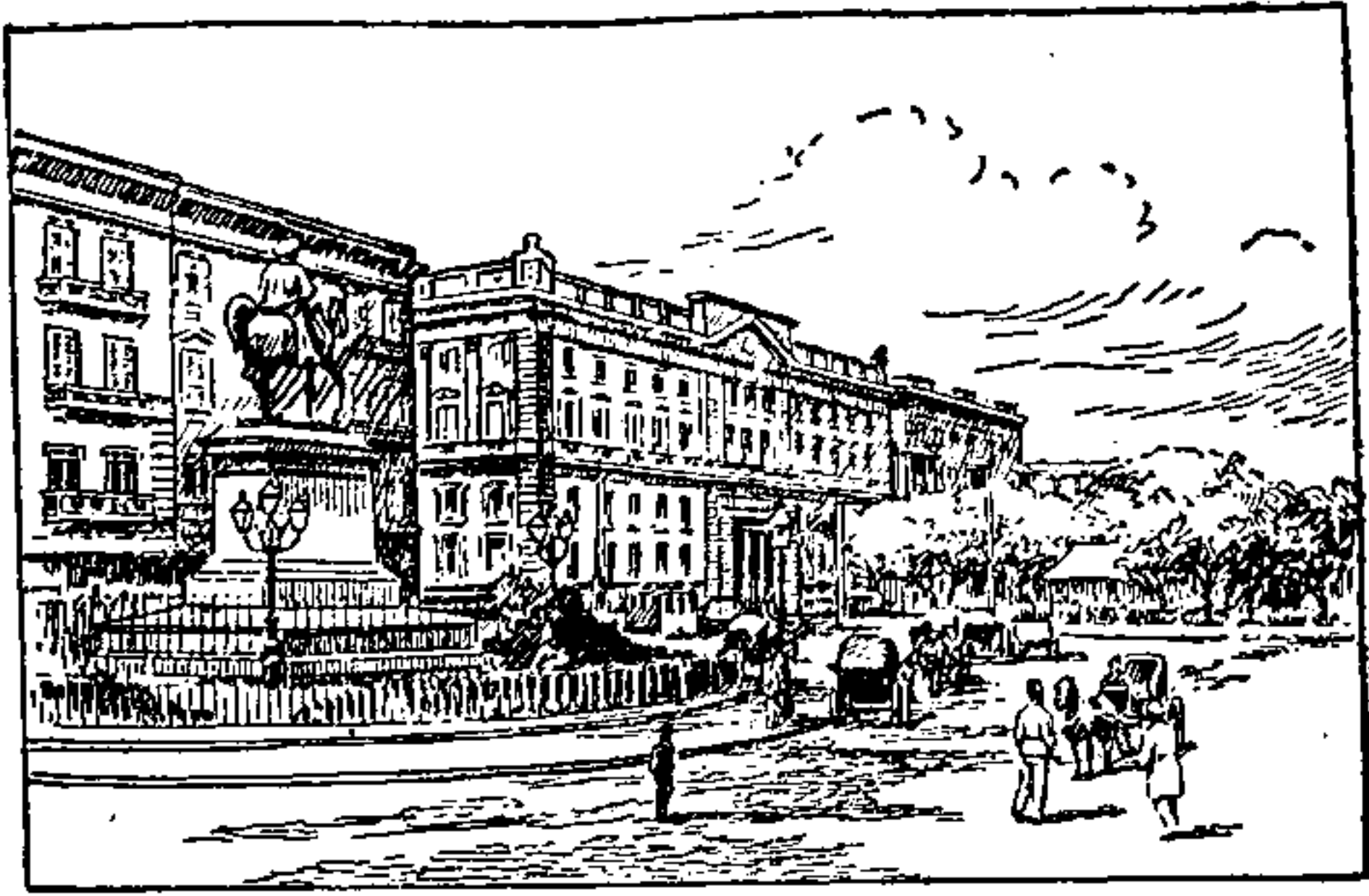
فِي وَسَطِ اَلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَيْدَانُ « مُحَمَّدُ عَلِيٍّ » اَلْفَسِيحُ، وَفِيهِ قَدْ نُصِبَتْ صُورَةُ رَجُلٍ رَاكِباً حِصَاناً، وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ كَبِيرَةٌ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ طَوِيلَةٌ، تَحْتَهَا سَرَاوِيلُ وَاسِعَةٌ، وَفِي وَسَطِهِ سَيْفٌ مُتَقَوِّسٌ، وَوَجْهُهُ وَضَّاحٌ لَهُ شَارِبَانِ طَوِيلَانِ وَلِحْيَةٌ دَائِرَةٌ .

تِلْكَ ٱلصُّورَةُ نُصِبَتْ إِحْيَاءً لِذِكْرِ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ ٱلْكَبِيرِ . مُؤَسِّسِ ٱلْأُسْرَةِ ٱلْمَلَكِيَّةِ ٱلْفَخْمَةِ ، ٱلَّذِى خَلَّصَ ٱلْقُطْرَ ٱلْمِصْرِىَّ ، مِنْ يَدِ ٱلْمَمَالِيكِ ٱلظَّالِمِينَ .

كَانَ مُحَمَّدُ عَلِيٍّ ضَابِطًا تُرْكِيًّا ، أَتَى مَعَ ٱلْجَيْشِ ٱلَّذِى أَرْسَلَتْهُ ٱلْحُكُومَةُ ٱلْعُثْمَانِيَّةُ ، لِإِخْرَاجِ ٱلْفَرَنْسِيِّينَ مِنْ مِصْرَ ، فِى أَوَائِلِ ٱلْقَرْنِ ٱلْمَاضِى . ثُمَّ تَرَقَّى بِحُسْنِ عَمَلِهِ ، وَأَحَبَّهُ ٱلْمِصْرِيُّونَ وَطَلَبُوا جَعْلَهُ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ ، فَلَبَّتْ ٱلْحُكُومَةُ ٱلْعُثْمَانِيَّةُ طَلَبَهُمْ .

عَرَفَ مُحَمَّدُ عَلِيٍّ أَنَّ ٱلْمِصْرِيِّينَ يَصْلُحُونَ لِكُلِّ ٱلْأَعْمَالِ ، إِذَا وَجَدُوا رَئِيسًا طَيِّبًا . فَنَظَّمَ ٱلْحُكُومَةَ عَلَى نِظَامٍ حَسَنٍ ، وَأَدْخَلَ ٱلصِّنَاعَاتِ مِنَ ٱلْبِلَادِ ٱلْأَجْنَبِيَّةِ ، حَتَّى صَارَتِ ٱلسُّفُنُ ٱلْحَرْبِيَّةُ تُصْنَعُ فِى ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ . وَأَنْشَأَ مَصَانِعَ لِجَمِيعِ ٱلْحَاجَاتِ ٱلْأُخْرَى ، مِثْلِ ٱلطَّرَابِيشِ وَٱلْأَحْذِيَةِ ، وَٱلثِّيَابِ ٱلْقُطْنِيَّةِ وَٱلْحَرِيرِيَّةِ . وَأَدْخَلَ زِرَاعَةَ

اْلقُطْنِ ، اُلَّذِى هُوَ اْلآنَ أَسَاسُ غِنَى اْلقُطْرِ . فَلا شَكَّ أَنَّ هَذَا اُلرَّجُلَ اْلعَظِيمَ ، هُوَ أَصْلُ اُلتَّقَدُّمِ اُلْحَاصِلِ اْلآنَ فِي مِصْرَ ، فِي عَصْرِنَا اُلزَّاهِرِ ، عَصْرِ اُلْمَلِكِ اْلعَظِيمِ فُؤَادٍ .

٤٩ — اَلشَّجَاعَةُ وَاْلجُبْنُ

مَعْرَكَةٌ	مُتَابَعَةٌ	مُصِرٌّ	رَمَى
اَلتَّهْلُكَةُ	مِنْطَقَةٌ	يَطْفُو	خَلَعَ
خَاطَرَ	خَاصَّةٌ	يَسْخَرُ	

خَرَجَ رَمَضَانُ وَسُلَيْمَانُ يَتَمَشَّيَانِ فَرَأَيَا مَعْرَكَةً فِي اُلطَّرِيقِ ، وَطَلَبَ سُلَيْمَانُ مِنْ رَمَضَانَ أَنْ يَقِفَ مَعَهُ لِيَرَيَا مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهَا . فَأَبَى رَمَضَانُ إِلاَّ مُتَابَعَةَ اُلسَّيْرِ ، خَوْفَ أَنْ يَلْحَقَهُمَا أَذًى وَلَيْسَ لَهُمَا دَخْلٌ فِيهَا . فَأَلَحَّ سُلَيْمَانُ عَلَى رَفِيقِهِ اُلَّذِى مَا زَالَ مُصِرًّا عَلَى مُتَابَعَةِ اُلسَّيْرِ ، فَغَضِبَ سُلَيْمَانُ وَرَمَى رَمَضَانَ بِاْلجُبْنِ وَافْتَرَقَا .

وَبعْدَ ذَلِكَ صَارَ سُلَيْمَانُ وَبَعْضُ خَاصَّتِهِ ، يَسْخَرُونَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَيُعَيِّرُونَهُ بِالْجُبْنِ . وَلَكِنَّ رَمَضَانَ تَحَمَّلَ أَذَاهُمْ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، أَنْ يُلْقِيَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ فِي الْمَخَاطِرِ ، عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ ، وَسَتُظْهِرُ الْأَيَّامُ مَبْلَغَ شَجَاعَتِهِ يَوْمًا مَا . وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، اتَّفَقَ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَسْتَحِمُّ مَعَ رِفَاقِهِ ، وَتَجَاوَزَ حَدَّ مِنْطَقَةِ الِاسْتِحْمَامِ فَتَعِبَ ، وَصَارَ يَغْطِسُ وَيَطْفُو وَيَصْرُخُ ، مُسْتَغِيثًا بِإِخْوانِهِ الَّذِينَ كَانُوا مِثْلَهُ ، يَتَبَاهَوْنَ بِشَجَاعَةٍ لَيْسَتْ فِيهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ تَرَكُوهُ وَهَرَبُوا .

وَلَمَّا رَأَى رَمَضَانُ — وَهُوَ عَلَى الشَّاطِئِ — مَا حَلَّ بِسُلَيْمَانَ ، خَلَعَ مَلَابِسَهُ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ، وَوَثَبَ فِي الْمَاءِ وَسَبَحَ ، وَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ لِيُخَلِّصَهُ . وَبَعْدَ الْجُهْدِ الْعَظِيمِ أَخْرَجَهُ سَالِمًا .

وَبِهَذَا الْعَمَلِ ، خَجِلَ سُلَيْمَانُ وَرِفَاقُهُ مِنْ تَعَدِّيهِمْ عَلَى رَمَضَانَ ، وَاعْتَرَفُوا لَهُ بِأَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ شَجَاعَةً وَحِكْمَةً .

٥٠ — دُودَةُ ٱلْقَزِّ

أُرَدِّدُ	شَرَهٌ	يَتَلَاصَقَانِ
اَلْفَيْلَجُ	نُدًى	اَلْفَرَاشُ
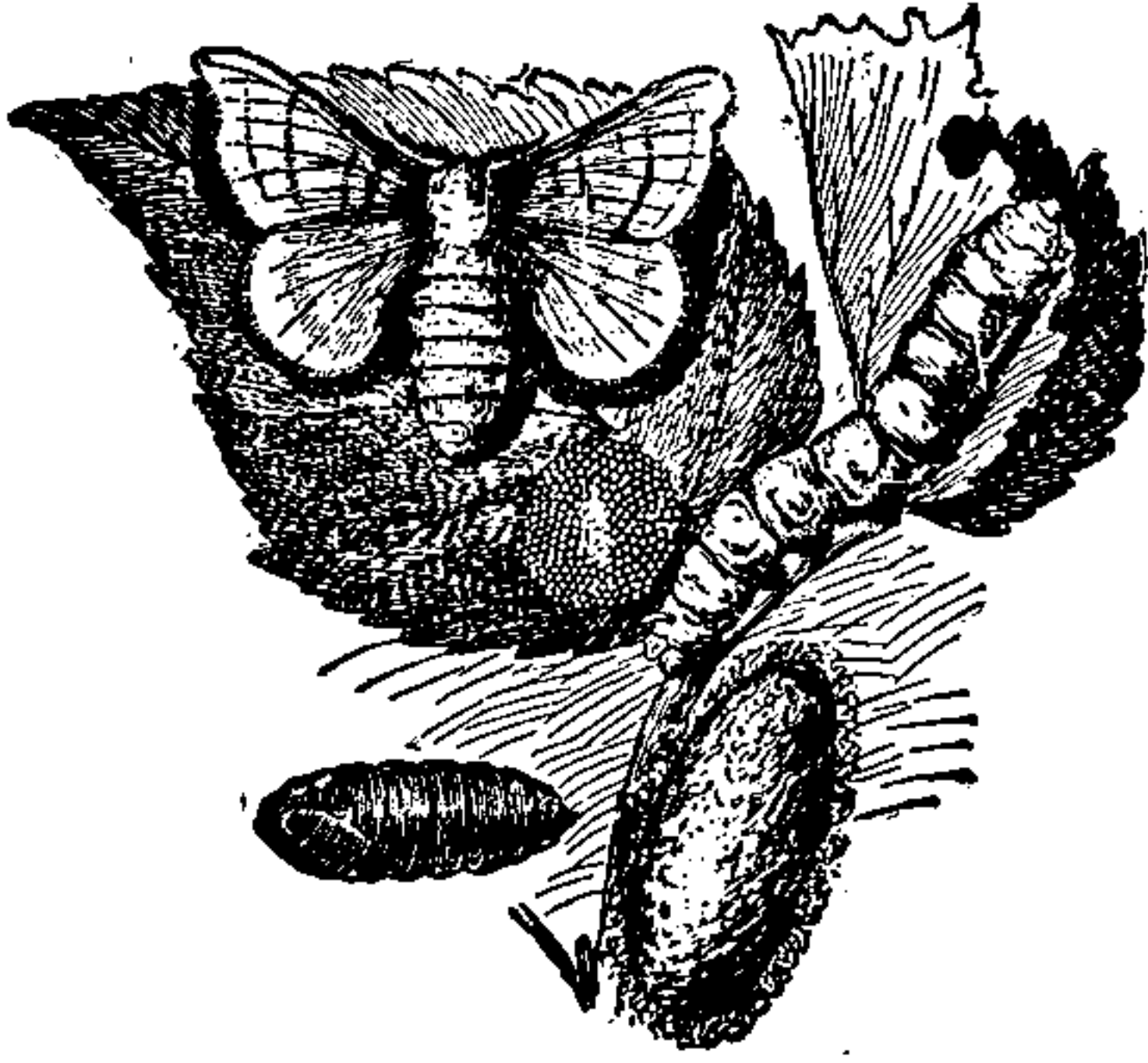
كَانَ سُرُورِى لَا يُقَدَّرُ ، حِينَ أَتَانِى يَوْمًا قَلِيلٌ مِنْ بَيْضِ دُودِ ٱلْقَزِّ ، وَهُوَ لَا يَزِيدُ فِى حَجْمِهِ عَلَى حَبِّ ٱلسِّمْسِمِ . فَوَضَعْتُهُ عَلَى وَرَقَةٍ فِى صُنْدُوقٍ ، وَصِرْتُ أَرْقُبُهُ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، وَجَدْتُ دِيدَانًا صَغِيرَةً سَوْدَاءَ تَتَحَرَّكُ فِي الصُّنْدُوقِ . فَأَسْرَعْتُ إِلَى أَبِي لِأُخْبِرَهُ بِخَبَرِهَا . فَلَمَّا رَآهَا قَالَ إِنَّهَا دِيدَانُ الْقَزِّ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ لَهَا مِنْ وَرَقِ التُّوتِ ، لِأَنَّهُ غِذَاؤُهَا ، وَأَنْ أَرْقُبَ نُمُوَّهَا . فَصِرْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ مُدَّةَ شَهْرٍ .

وَكُنْتُ أَرَاهَا تَأْكُلُ بِشَرَهٍ ، وَتَكْبَرُ بِسُرْعَةٍ ، حَتَّى صَارَ طُولُ الْوَاحِدَةِ خَمْسَةَ سَنْتِيمِتْرَاتٍ تَقْرِيبًا . وَفِي أَثْنَاءِ هَذَا الشَّهْرِ ، تَغَيَّرَ جِلْدُهَا وَلَوْنُهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَكَتِ الْأَكْلَ ، وَأَخَذَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تُخْرِجُ خَيْطَيْنِ مِنْ ثَقْبَيْنِ فِي فَكِّهَا السُّفْلِيِّ ، فَيَتَلَاصَقَانِ عِنْدَ خُرُوجِهِمَا ، وَيُكَوِّنَانِ خَيْطًا وَاحِدًا . وَتَدُورُ بِرَأْسِهَا حَوْلَ جِسْمِهَا ، لِتُكَوِّنَ غَزْلًا مِنْ خَيْطٍ وَاحِدٍ ، عَلَى شَكْلِ بَيْضَةٍ صَغِيرَةٍ ، تُبَطِّنُهَا بِالصَّمْغِ مِنَ الدَّاخِلِ : وَهَذِهِ هِيَ الْفَيْلَجُ .

وَلَمَّا أَخْبَرَنِي وَالِدِي أَنَّ شَكْلَهَا يَتَغَيَّرُ أَثْنَاءَ الْغَزْلِ صِرْتُ أَرْقُبُهَا كُلَّ يَوْمٍ . وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ ، رَأَيْتُ فَيْلَجًا نُدِّيَ مِنْ جَانِبِهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ شَيْئًا يَخْرِقُهُ . فَانْتَظَرْتُ قَلِيلًا وَإِذَا بِفَرَاشٍ جَمِيلِ الْمَنْظَرِ ، خَرَجَ يُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ . وَالْأُنْثَى مِنْهُ تَبِيضُ ، ثُمَّ تَمُوتُ بَعْدَ ذَلِكَ .

٥١ — اَلْحَرِيرُ

اَلْأَطْوَارُ	تَتَوَالَى	يَفْرِزُ	يُعَرَّضُ
مَسَالِكُ	أَسَاطِينُ	اَلْأَنْسِجَةُ	صِقِلِّيَّةُ

لَا أَنْسَى يَا أَبِي كُلَّ الْأَطْوَارِ الَّتِي شَاهَدْتُهَا تَتَوَالَى عَلَى دُودَةِ الْقَزِّ . وَلَكِنِّي لَا أَزَالُ أَجْهَلُ كَيْفَ يُؤْخَذُ الْحَرِيرُ مِنْهَا . فَقَالَ الْأَبُ : « عَلِمْتَ يَا بُنَيَّ أَنَّ الْفَيْلَجَ مُكَوَّنٌ كُلُّهُ مِنْ خَيْطٍ وَاحِدٍ ، يَتَقَطَّعُ عِنْدَ خُرُوجِ الْفَرَاشِ مِنْهُ . وَلَكِنْ يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَى خُيُوطٍ طَوِيلَةٍ

كَامِلَةٍ ، يُفْرَزُ عَدَدٌ مِنْ أَكْبَرِ ٱلْفَيَالِجِ ، وَيُتْرَكُ لِيَخْرُجَ مِنْهُ ٱلْفَرَاشُ كَمَا رَأَيْتَ . وَأَمَّا ٱلْبَاقِي فَيُعَرَّضُ لِلْحَرَارَةِ ، حَتَّى يَمُوتَ ٱلدُّودُ فِي جَوْفِهِ . وَحِينَئِذٍ يُبْحَثُ عَنْ طَرَفِ ٱلْخَيْطِ ، وَيُسْحَبُ وَيُلَفُّ عَلَى مَسَالِكَ ، وَيُسَمَّى حِينَئِذٍ خَزًّا . وَبَعْدَ ذَلِكَ يُلَفُّ عَلَى أَسَاطِينَ ، ثُمَّ يُنَظَّفُ لِلْغَزْلِ ، وَيُهَيَّأُ لِلنَّسْجِ .

وَمِنَ ٱلْحَرِيرِ تُصْنَعُ سَائِرُ ٱلْأَنْسِجَةِ ٱلْحَرِيرِيَّةِ : كَالْقَطِيفَةِ وَغَيْرِهَا . وَأَوَّلُ مَنْ عَرَفَ ٱلْحَرِيرَ ٱلصِّينِيُّونَ وَٱلْأَعْجَامُ . وَكَانَ لَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا ٱلْأَغْنِيَاءُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُبَاعُ بِوَزْنِهِ ذَهَبًا .

وَأَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ دُودَ ٱلْقَزِّ فِي أُورُبَّا رَاهِبَانِ عَجَمِيَّانِ ، كَانَ مَعَ كُلٍّ مِنْهُمَا عَصًا مِنَ ٱلْقَصَبِ مَلَأَهَا بَيْضًا ، وَذَهَبَا إِلَى رُومَا فِي عَهْدِ ٱلْمَلِكِ يُسْتِنْيَانَ ، سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ بَعْدَ ٱلْمِيلَادِ ، وَمِنْهَا ٱنْتَشَرَ فِي أَنْحَاءِ

أوْرُبَّا . وَأَوّلُ مَصْنَعٍ أُنْشِىءَ فِيهَا كَانَ فِي صِقِلِّيَةَ سَنَةَ ١١٣٠.
وَالْحَرِيرُ يُصْنَعُ الْآنَ فِي إنْكِلْتِرَا وَفَرَنْسَا وَإِيطَالِيَا ،
وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْيَابَانِ وَتُرْكِيَا .

٥٢ — الصَّيَّادُ وَالأَسَدُ

الْبَرِّيَّةُ	يَسْتَرِقُ	الْكَاسِرُ	هَضْبَةٌ
مِنْعَطَفٌ	قُبَّعَةٌ	تَخَيَّلَ	اِسْتَجْمَعَ
صَرِيعٌ	الشَّبَحُ		

خَرَجَ رَجُلٌ لِلصَّيْدِ فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَرَأَى أَسَدًا يَسْتَرِقُ
الْخُطَا خَلْفَهُ مِنْ بُعْدٍ ، كَأَنَّهُ يَقْصِدُ افْتِرَاسَهُ ، مَتَى أَتَى
الظَّلَامُ . وَلَمْ يَسْتَطِعِ الرَّجُلُ أَنْ يَهْرُبَ جَرْيًا ، لِعِلْمِهِ أَنَّ
الأَسَدَ يَجْرِي أَسْرَعَ مِنْهُ فَيُدْرِكُهُ . فَمَشَى مُسْرِعًا وَهُوَ
يَتَلَفَّتُ وَرَاءَهُ ، لِيُرَاقِبَ حَرَكَاتِ الأَسَدِ . وَصَارَ يُفَكِّرُ
فِي حِيلَةٍ تُنْجِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْعَدُوِّ الْكَاسِرِ .

وَأَخِيرًا بَلَغَ هَضْبَةً عَالِيَةً فَصَعِدَ عَلَيْهَا ، وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ ، وَأَخَذَ النُّورُ يَزُولُ . فَتَأَمَّلَ الرَّجُلُ حَوَالَيْهِ ، فَرَأَى أَمَامَهُ هُوَّةً عَمِيقَةً جِدًّا ، كُلُّهَا صُخُورٌ كَبِيرَةٌ . فَخَلَعَ مِعْطَفَهُ وَقُبَّعَتَهُ ، وَرَكَّبَهُمَا عَلَى بُنْدُقِيَّتِهِ ، ثُمَّ اخْتَفَى خَلْفَ صَخْرَةٍ فِي الْهَضْبَةِ ، وَرَفَعَ الْبُنْدُقِيَّةَ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَلَابِسِ .

فَتَخَيَّلَ ٱلْأَسَدُ أَنَّهَا ٱلرَّجُلُ لَا يَزَالُ وَاقِفاً فِي مَكَانِهِ . فَتَقَبَّضَ وَٱسْتَجْمَعَ قُوَاهُ ، وَوَثَبَ وَثْبَةً شَدِيدَةً عَلَى ذَلِكَ ٱلشَّبَحِ ، فَسَقَطَ فِي قَعْرِ ٱلْهُوَّةِ ، وَمَاتَ صَرِيعًا عَلَى صُخُورِهَا ، وَنَجَا ٱلرَّجُلُ بِحِيلَتِهِ .

٥٣ — ٱللُّؤْلُؤُ

اَللُّؤْلُؤُ صُنُوفٌ مَحَارٌ حُلَّةٌ

فِي ٱلْبَحْرِ صُنُوفٌ كَثِيرَةٌ مِنَ ٱلْأَسْمَاكِ : مِنْهَا مَا لَهُ عَظْمٌ يَجْعَلُ جِسْمَهُ مُسْتَقِيماً ، قَادِرًا عَلَى ٱلْحَرَكَةِ وَٱلسِّبَاحَةِ ؛ وَمِنْهَا مَا لَيْسَ لَهُ عَظْمٌ ، بَلْ لَهُ مَحَارٌ يَعِيشُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لَيِّنٌ كَالْعَجِينِ ، يُؤْلِمُهُ أَيُّ صَدْمٍ أَوِ ٱحْتِكَاكٍ . وَلِذَلِكَ يَفْرِزُ مَادَّةً غِرَائِيَّةً بَيْضَاءَ ، يُبَطِّنُ بِهَا سَطْحَ ٱلْمَحَارِ ، فَتَجِفُّ وَتُكَوِّنُ ٱلصَّدَفَ ٱلْبَرَّاقَ ٱلْمُسْتَعْمَلَ فِي ٱلزِّينَةِ .

وَإِذَا دَخَلَ جَوْفَ ٱلْمَحَارِ ذَرَّةٌ مِنْ جِسْمٍ غَرِيبٍ ، آلَمَتْهُ أَلَمًا شَدِيدًا . فَيَفْرِزُ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَادَّةِ ٱلصَّدَفِيَّةِ جُزْءًا كَبِيرًا يُحِيطُ بِهَذِهِ ٱلذَّرَّةِ ، لِيَمْنَعَ عَنْ نَفْسِهِ ٱلْأَلَمَ ، وَتَكُونُ عَلَى هَيْئَةِ كُرَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، مَتَى جَفَّتْ صَارَتْ لُؤْلُؤَةً كَرِيمَةً . وَلَيْسَ ٱللُّؤْلُؤُ كُلُّهُ أَبْيَضَ ، بَلْ مِنْهُ ٱلْوَرْدِيُّ ،

وَالْبَنَفْسَجِىُّ ، وَالْأَزْرَقُ . وَيُوجَدُ بِكَثْرَةٍ فِى الْخَلِيجِ الْفَارِسِىِّ ، وَفِى سَوَاحِلِ جَزِيرَةِ سَيْلَانَ ، وَأُسْتُرَالِيَا ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ .

وَالصَّيَّادُونَ يَخْرُجُونَ لِصَيْدِهِ فِى صِغَارِ الْقَوَارِبِ ، وَخِفَافِ الْمَرَاكِبِ ، وَيَنْزِلُ الْغَوَّاصُونَ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ يَجْمَعُونَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الصَّدَفِ . وَمِنَ الْغَوَّاصِينَ مَنْ يَلْبَسُ حُلَّةً خَاصَّةً ، تُنْزَلُ الْهَوَاءَ إِلَيْهِمْ فِى أَنَابِيبَ ، فَيُمْكِنُهُمُ الْبَقَاءُ زَمَنًا طَوِيلًا تَحْتَ الْمَاءِ . وَيَرْبِطُونَ حَوْلَ أَوْسَاطِهِمْ حَبْلًا مَتِينًا وَاصِلًا إِلَى الْقَارِبِ ، وَبِيَدِهِمْ حَبْلٌ رَفِيعٌ وَاصِلٌ كَذَلِكَ إِلَى الْقَارِبِ . فَإِذَا حَسَّ الْغَوَّاصُ بِضِيقٍ فِى النَّفْسِ ، أَوْ تَعَبٍ فِى الْجِسْمِ ، أَوْ خَافَ أَذًى مِنَ الْأَسْمَاكِ الْمُفْتَرِسَةِ ، جَذَبَ الْحَبْلَ الرَّفِيعَ بِشِدَّةٍ ، فَيَجْذِبُهُ زُمَلَاؤُهُ الَّذِينَ فِى الْقَارِبِ ، وَيَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ بِأَمَانٍ .

٥٤ — جَزَاءُ ٱلْوَالِدَيْنِ

مَهْدٌ أَوَّاهُ شَاحِبٌ حَنِينٌ لَثَمَ
هَتَفَ ضَجَّةٌ وَقْعٌ اَلْبُرْءُ نَبْضٌ
اَلسَّقَمُ اَلْغُمَمُ حَنَانٌ

مَالِي مَرِضْتُ وَكَمْ أُقَاسِي مِنْ أَلَمْ !
وَرَقَدْتُ فِي مَهْدِي وَكَمْ أَشْكُو وَكَمْ !
أَوَّاهُ مِنْ وَجَعٍ أَرَاهُ أَصَابَنِي !
فَهَتَفْتُ يَا أُمَّاهُ ! قَالَتْ لِي نَعَمْ .
جَاءَتْ عَلَى عَجَلٍ بِلَوْنٍ شَاحِبٍ
وَحَنِينِ صَوْتٍ هَاجَ مِنْ قَلْبٍ لِفَمْ .
لَثَمَتْ خُدُودِي رَحْمَةً وَمَحَبَّةً
وَجَرَتْ تَجِيءُ بِمَا يُخَفِّفُ لِي ٱلْأَلَمْ .
عَادَتْ تُسَلِّينِي بِعَذْبِ حَدِيثِهَا ،
وَتَقُصُّ مِنْ خَبَرِ ٱلْبِلَادِ مَعَ ٱلْأُمَمْ ،

حَتَّى سَمِعْتُ عَلَى ٱلسَّلاَلِمِ ضَجَّةً ،

وَكَلاَمَ أَشْخَاصٍ فَوَقْعاً بِالْقَدَمْ

هَذَا أَبِي وَبِجَنْبِهِ رَجُلٌ أَتَى ،

هُوَ ذَا ٱلطَّبِيبُ لِكَيْ يُعَالِجَنِي قَدِمْ

قَاسَ ٱلْحَرَارَةَ جَسَّ نَبْضِي بَعْدَهَا

وَرَجَا لِيَ ٱلْبُرْءَ ٱلسَّرِيعَ مِنَ ٱلسَّقَمْ

حَضَرَ ٱلدَّوَا ، فَشَرِبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ

مُرًّا ، وَلَكِنْ فِيهِ كَشْفٌ لِلْغُمَمْ

فَرِحَتْ لِذَا أُمِّي ، وَدَاعَبَنِي أَبِي ،

فَنَشِطْتُ حَتَّى مِنْ سُرُورِي لَمْ أَنَمْ

هَذَا حَنَانُ ٱلْأُمِّ مِنْ أَجْلِ ٱبْنِهَا ،

وَكَذَاكَ حُبُّ أَبِي، فَمَا هَذِي ٱلنِّعَمْ!

لَجَزَاءُ هَذَا ٱلْحُبِّ مِنِّي طَاعَةٌ

وَمَحَبَّةٌ مَا شَاءَ رَبِّي ذُو ٱلْكَرَمْ

٥٥ — اَلْجَمَلُ (١)

اَلدَّاجِنُ أَخْفَافٌ سَوْخٌ سَنَامٌ اَلْقَتَبُ
جَرَّةٌ اِجْتَرَّ يَغْذُو أَزْقَاقٌ قَفْرٌ

اُنْظُرُوا إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، تَرَوْهَا لَا مَثِيلَ لَهَا فِي الْخِلْقَةِ . فَإِنَّ الْجَمَلَ أَكْبَرُ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ جِسْمًا ، وَأَطْوَلُهُ سَاقًا ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةً ، حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَأَ مِنَ الْأَرْضِ بِدُونَ أَنْ يَبْرُكَ . وَرَأْسُهُ صَغِيرٌ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحِمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ . وَأَرْجُلُهُ فِيهَا أَخْفَافٌ تَمْنَعُ سَوْخَهَا فِي رِمَالِ الصَّحْرَاءِ الَّتِي كَثِيرًا مَا يَسِيرُ فِيهَا . وَعَلَى ظَهْرِهِ سَنَامٌ كُلُّهُ شَحْمٌ ، يُرَكَّبُ عَلَيْهِ الْقَتَبُ . وَعَيْنَاهُ سَوْدَاوَانِ وَاسِعَتَانِ ، تَشِفَّانِ عَنْ حِلْمٍ وَدَعَةٍ . وَلَهُ فِي وَسَطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيظٌ يُسَمَّى الْكَلْكَلَ ، يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ مَتَى بَرَكَ . وَلَهُ فِي أَرْجُلِهِ قِطَعٌ عَدِيمَةُ الْحِسِّ فِي مَوَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَوْفُ ٱلْجَمَلِ عَجِيبٌ فِي تَرْكِيبِهِ ، لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى جُمْلَةِ كُرُوشٍ يَخْزُنُ فِيهَا مِقْدَاراً عَظِيماً مِنَ ٱلْغِذَاءِ ، حَتَّى إِذَا جَاعَ وَلَمْ يَجِدْ أَكْلاً أَخْرَجَ مِنْ كَرِشِهِ جِرَّةً وَاجْتَرَّهَا ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى حَيَوَاناً مُجْتَرًّا . وَإِذَا فَرَغَ مَا خَزَنَهُ فِي جَوْفِهِ ، فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّلُ شَيْئاً فَشَيْئاً لِيَغْذُوَهُ ، وَيَكْفِيهِ مُدَّةً طَوِيلَةً . وَلِلْجَمَلِ فِي جَوْفِهِ جُمْلَةُ أَزْقَاقٍ تَمْتَلِئُ بِٱلْمَاءِ عِنْدَ مَا يَشْرَبُ ، حَتَّى إِذَا عَطِشَ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ لاَ مَاءَ فِيهِ ، أَغْنَاهُ مَا خَزَنَهُ عَنِ ٱلشُّرْبِ زَمَناً طَوِيلاً .

٥٦ — اَلْجَمَلُ (٢)

قَاحِلَةٌ	يَسْلُكُ	اِضْطِرَارٌ	اَلْقِفَارُ
مَئُونَةٌ	تَئِنُّ	تَكِلُّ	ضَلَّ
يُنْقِذُ	اَلْقِيَادُ	يَثُورُ	يَتَأَثَّرُ
ثَارَ	اَلشِّقْشِقَةُ		
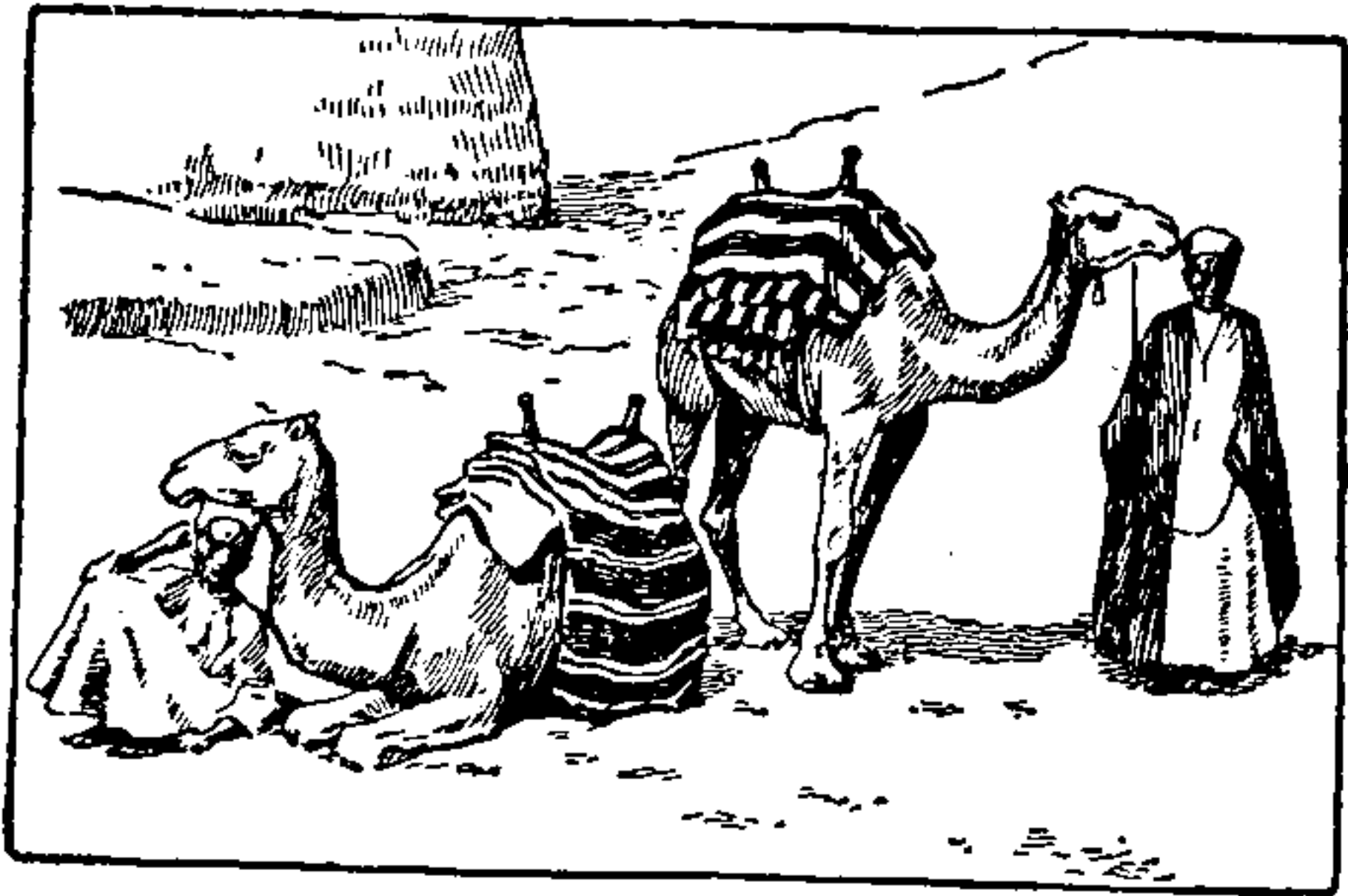
فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا صَحَارَى قَاحِلَةٌ ، لَا حَيَوَانَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ . أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَّةٌ ، لَا تَرَى فِيهَا قَطْرَةُ مَاءٍ ، يَسْلُكُهَا ٱلنَّاسُ ٱضْطِرَاراً ، فَيَحْمِلُونَ زَادَهُمْ مِنْ مَاءٍ وَطَعَامٍ عَلَى ظُهُورِ ٱلْجِمَالِ . وَيَسِيرُونَ فِي تِلْكَ ٱلْقِفَارِ مُجْتَمِعِينَ ، وَإِبِلُهُمْ مُتَتَابِعَةٌ كَالْقِطَارِ . وَهِيَ تَسِيرُ بِهِمْ هَادِئَةً سَاكِنَةً ، تَصْبِرُ عَلَى ٱلْجُوعِ وَٱلْعَطَشِ مُعْظَمَ ٱلطَّرِيقِ ، لِأَنَّهَا قَدْ خَزَنَتْ مَئُونَتَهَا فِي جَوْفِهَا قَبْلَ ٱلرَّحِيلِ . وَتَحْمِلُ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمَتَاجِرِ أَحْمَالاً ثِقَالاً لَا تَئِنُّ مِنْهَا وَلَا

تَكَلْ . فَتَرَى ٱلْجَمَلَ كَأَنَّهُ مَرْكَبٌ يَشُقُّ تِلْكَ ٱلرِّمَالَ ٱلْوَاسِعَةَ ، وَلِذَا سُمِّيَ سَفِينَةَ ٱلصَّحْرَاءِ .

وَإِنْ ضَلَّ ٱلْمُسَافِرُونَ ٱلطَّرِيقَ فِي ٱلصَّحْرَاءِ ، يَأْخُذُهُمُ ٱلْقَلَقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ ، مَخَافَةَ أَنْ يَنْفَدَ زَادُهُمْ فَيَمُوتُوا جُوعًا وَعَطَشًا . وَلَكِنَّ ٱلْجَمَلَ يُنْقِذُهُمْ أَحْيَانًا مِنْ تِلْكَ ٱلْأَخْطَارِ ، لِأَنَّهُ يَشُمُّ ٱلْمَاءَ مِنْ بُعْدٍ ، فَيَسِيرُ نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ لِيَسْتَقِيَ صَاحِبُهُ .

وَٱلْجَمَلُ سَهْلُ ٱلْقِيَادِ ، لَيِّنُ ٱلطِّبَاعِ ، يَتَحَمَّلُ كَثِيراً مِنَ ٱلْأَذَى بِٱلصَّبْرِ وَٱلْحِلْمِ . وَلَكِنَّهُ يَثُورُ مَتَى بَلَغَ ٱلْأَذَى شِدَّةً عَظِيمَةً ، فَيَتَأَثَّرُ مَنْ آذَاهُ ، وَلَا يَتْرُكُهُ إِلَّا إِذَا ثَأَرَ لِنَفْسِهِ وَفَتَكَ بِهِ .

وَإِذَا قَوِيَ ٱلْجَمَلُ ٱشْتَدَّ بَأْسُهُ ، وَعَافَ ٱلْأَكْلَ مَا لَمْ يُوضَعْ فِي فَمِهِ ، وَيَقُولُ ٱلنَّاسُ عَنْهُ إِنَّهُ صَائِمٌ . وَفِي هَذِهِ ٱلْحَالَةِ يُخْرِجُ شِقْشِقَتَهُ مِنْ حَلْقِهِ وَيُشَقْشِقُ مِنَ ٱلْغَضَبِ .

٥٧ — اَلْآسِـــتَانَةُ (١)

اَلْآسِتَانَةُ	تِلَالٌ	مُسَلَّحَةٌ
اَلْوَسْقُ	وِهَادٌ	حَيٌّ
فَخْمَةٌ	اَلسِّلَعُ	يَهْتَدِي

مَدْخَلُ اَلْآسِتَانَةِ بُوغَازُ اَلْبُسْفُورِ اَلضَّيِّقُ ، وَعَلَى جَانِبَيْهِ تِلَالٌ فِيهَا أَشْجَارٌ عَالِيَـةٌ وَقِلَاعٌ مَنِيعَةٌ ، مُسَلَّحَةٌ بِكِبَارِ اَلْمَدَافِعِ مُنْتَشِرَةً عَلَى طُولِ اَلْبُوغَازِ ، وَفِي وَسَطِهِ خَلِيجُ قَرْنِ اَلذَّهَبِ اَلَّذِي هُوَ فُرْضَةُ اَلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . تُرَى اَلسُّفُنُ فِيهِ وَاقِفَةً ، وَحَرَكَةُ اَلْوَسْقِ وَاَلتَّفْرِيغِ دَائِمَـةٌ ، وَاَلْقَوَارِبُ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ ، تَحْمِلُ اَلنَّاسَ وَاَلْبَضَائِعَ مِنَ اَلسُّفُنِ وَإِلَيْهَا ، لِأَنَّ اَلْمَرْفَأَ لَا رَصِيفَ فِيهِ لِرُسُوِّ اَلسُّفُنِ اَلْكَبِيرَةِ . وَفِي وَسَطِ قَرْنِ اَلذَّهَبِ قَنْطَرَةٌ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ
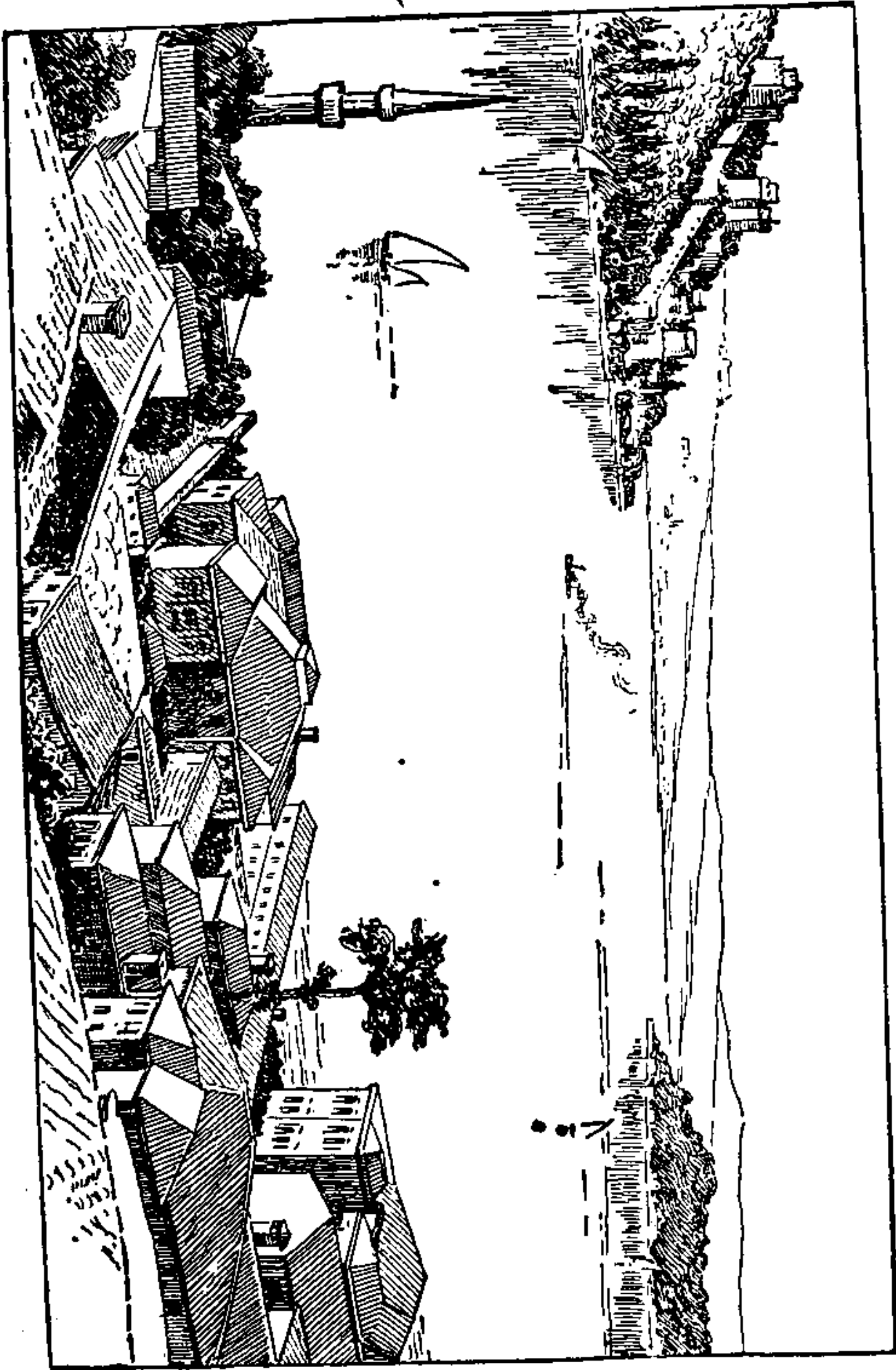
أَرْضُهَا مِنَ ٱلْخَشَبِ ، وَعَلَى جَانِبَيْ هَذِهِ ٱلْقَنْطَرَةِ مَرَاسٍ لِلسُّفُنِ ٱلصَّغِيرَةِ ، ٱلَّتِي تَنقُلُ ٱلنَّاسَ وَٱلْمَتَاعَ إِلَى ٱلْقُرَى ٱلْوَاقِعَةِ عَلَى ضَفَّتَيِ ٱلْبُسْفُورِ فِي كُلِّ جِهَاتِهِ . وَيُؤْخَذُ عَلَى كُلِّ مَارٍّ عَلَى هَـذِهِ ٱلْقَنْطَرَةِ مَكْسٌ يَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ نَوْعِهِ ، إِنْسَانًا كَانَ أَوْ دَابَّةً أَوْ عَجَلَةً .

وَٱلْمَدِينَةُ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى تِلَالٍ وَوِهَادٍ ، وَشَوَارِعُهَا فِي إِسْتَنْبُولَ حَيِّ ٱلْمُسْلِمِينَ ضَيِّقَةٌ ، وَلَا تُنَظَّفُ نَظَافَةً جَيِّدَةً ، وَلَـكِنَّ ٱلْبُيُوتَ نَظِيفَةٌ مَعَ أَنَّ أَغْلَبَهَا صَغِيرٌ وَمَبْنِيٌّ مِنَ ٱلْخَشَبِ .

وَأَمَّا غَلَطَةُ حَيُّ ٱلْفِرِنْجِ ، فَهِيَ أَعْظَمُ وَأَبْهَى مِنْ إِسْتَنْبُولَ ، شَوَارِعُهَا مُنْتَظِمَةٌ ، وَدِيَارُهَا كَبِيرَةٌ فَخْمَةٌ ، وَفِيهَا أَسْوَاقُ ٱلسِّلَعِ ٱلْفِرِنْجِيَّةِ ، وَحَرَكَتُهَا مُسْتَمِرَّةٌ لَيْلَ نَهَارَ ، وَٱلْمَصَابِيحُ تُضِيءُ فِي طُرُقِهَا بِٱللَّيْلِ لِيَهْتَدِيَ بِهَا ٱلْمَاشِي وَٱلرَّاكِبُ . وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ أَقَلُّ فَخَامَةً مِنْ مِصْرَ

أَو اْلإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَفِيهَا بَعْضُ حَدَائِقَ وَمُتَنَزَّهَاتٍ عَامَّةٍ ، يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا اَلنَّاسُ فِي أَوْقَاتِ اَلْفَرَاغِ .

٥٨ — اَلْآسْتَانَةُ (٢)

أَبْدَعُ　طِرَازٌ　حَرَمٌ　مُسْتَأْنِسٌ

أَرْبَاضٌ　صَفَّةٌ　تَدَفُّقُ　اَلْجَلِيدُ
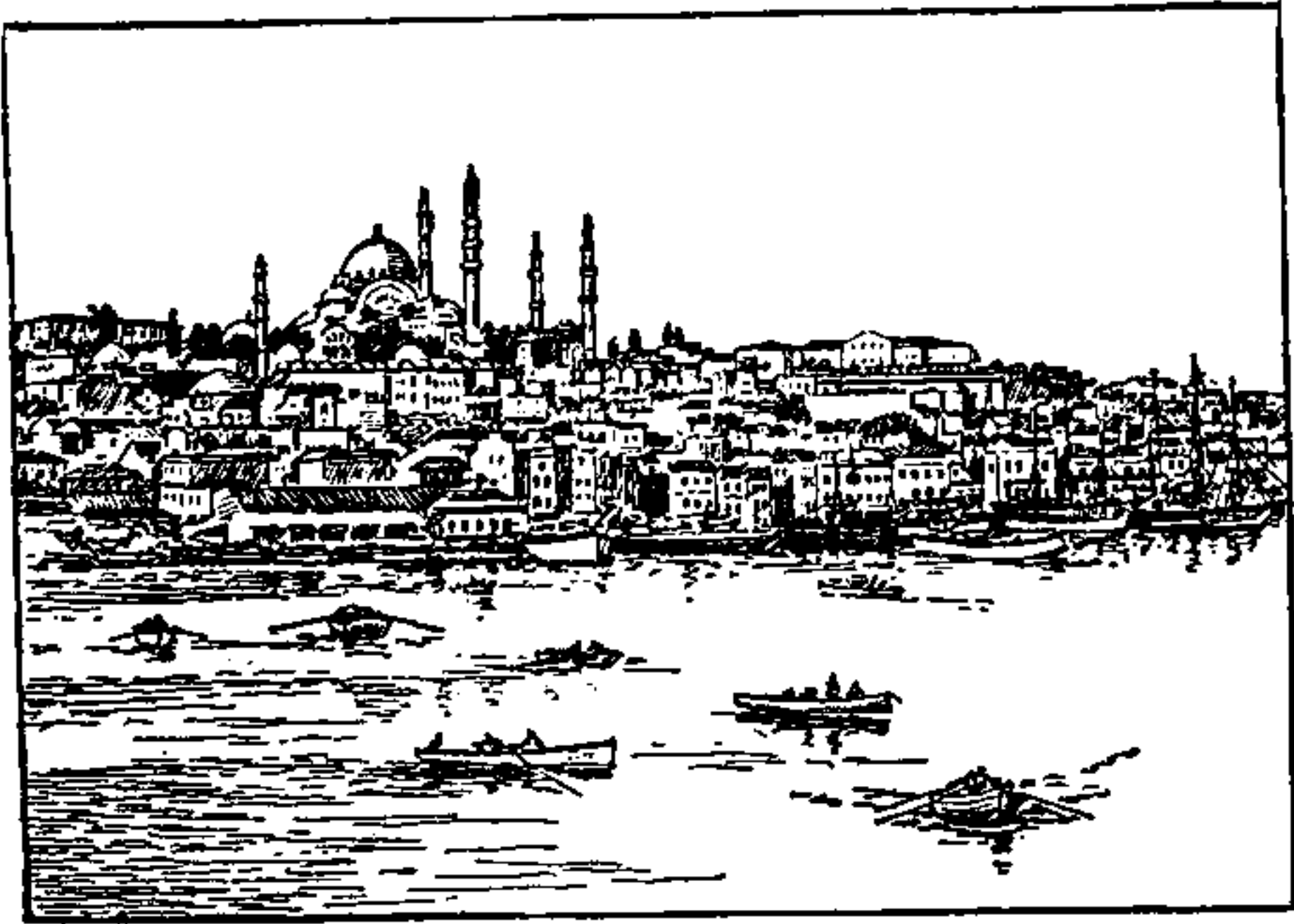
مِنْ أَبْدَعِ مَا يُرَى فِي اَلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، اَلْمَسَاجِدُ اَلْوَاسِعَةُ اَلْكَبِيرَةُ اَلْمُنْتَشِرَةُ فِي جَمِيعِ أَحْيَائِهَا اَلْإِسْلَامِيَّةِ ،

وَكُلُّهَا مَبْنِيٌّ عَلَى طِرَازٍ يَكَادُ يَكُونُ وَاحِدًا ، لِشِدَّةِ الشَّبَهِ بَيْنَهَا جَمِيعًا . وَلِكُلِّ مَسْجِدٍ حَوْشٌ فَسِيحٌ جِدًّا ، بِمَنْزِلَةِ حَرَمٍ لَهُ ، يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ ، يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ . وَيُرَى حَمَامٌ كَثِيرُ الْعَدَدِ ، طَائِرًا نَازِلًا مُسْتَأْنِسًا لَا يَخْشَى مِنْ أَحَدٍ أَذًى ، وَالنَّاسُ يَشْتَرُونَ الْقَمْحَ وَيَبْذُرُونَهُ ، فَيَتَرَامَى الْحَمَامُ عَلَيْهِ لِيَلْقُطَهُ . وَمَسَاجِدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي غَايَةِ النَّظَافَةِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ ، وَصُحُونُهَا كَبِيرَةٌ تَسَعُ الْمِئَاتِ مِنَ النَّاسِ ، وَالسَّقْفُ قُبَّةٌ عَظِيمَةٌ حَوْلَهَا عِدَّةُ قِبَابٍ صَغِيرَةٍ . وَفِي كُلِّ مَسْجِدٍ رِوَاقٌ مُرْتَفِعٌ ، يَحُوطُهُ تَفَارِيجُ مِنَ الْحَدِيدِ ، أُعِدَّ لِصَلَاةِ السُّلْطَانِ مَتَى شَاءَ ، وَيُسَمُّونَهُ الْقَفَصَ .

وَفِي أَرْبَاضِ الْمَدِينَةِ ، مَدَائِنُ صَغِيرَةٌ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ عَلَى ضَفَّتَيِ الْبُسْفُورِ ، جَمِيلَةُ الشَّكْلِ لَطِيفَةُ الْهَوَاءِ ، وَاسِعَةُ الشَّوَارِعِ فَخْمَةُ الْبِنَاءِ ، يَقْصِدُهَا النَّاسُ فِي الصَّيْفِ لِلنُّزْهَةِ

وَالرَّاحَةِ . وَفِيهَا أَحْرَاشٌ قَائِمَةٌ عَلَى التُّلُولِ الْكَثِيرَةِ ، يَكْثُرُ فِيهَا شَجَرُ الْبُنْدُقِ وَاللَّوْزِ وَالْجَوْزِ . وَتَتَدَفَّقُ الْمِيَاهُ الْعَذْبَةُ مِنْ عُيُونٍ فِيهَا ، يَشْتَرِيهَا النَّاسُ لِلشُّرْبِ ، لِأَنَّ مَاءَ الْأَنْهَارِ عِنْدَهُمْ لَا يَحْسُنُ شُرْبُهُ . وَفِي أَوَاخِرِ الصَّيْفِ يَكْثُرُ الْمَطَرُ ، وَفِي الشِّتَاءِ يَشْتَدُّ الْبَرْدُ ، وَيَنْزِلُ الثَّلْجُ وَالْجَلِيدُ ، فَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُ النَّارِ لِلتَّدْفِئَةِ .

٥٩ — اَلْفَتَاةُ الشُّجَاعَةُ

حَضَانَةٌ   عَامِلٌ   هَوًى   إِعْلَانٌ   رَغْمٌ
مُكِبَّةٌ   يَقْذِفُ   مَغْشِيٌّ   هِمَّةٌ

كَانَتْ فَتَاةٌ مَاتَتْ أُمُّهَا ، وَتَرَكَتْهَا فِي حَضَانَةِ أَبِيهَا ، وَهُوَ عَامِلٌ فِي سِكَّةِ حَدِيدٍ يُشْرِفُ عَلَيْهَا بَيْتُهُ . فَوَقَفَتْ يَوْمًا عَلَى الْبَابِ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، تَنْتَظِرُ عَوْدَةَ أَبِيهَا ، وَتَتَسَلَّى بِرُؤْيَةِ الْقُطُرِ وَهِيَ آتِيَةٌ ذَاهِبَةٌ . فَرَأَتْ ضَوْءَ

قِطَارِ بِضَاعَةٍ آتِياً بِسُرْعَةٍ ، ثُمَّ اُخْتَفَى وَلَمْ تَدْرِ لِذَلِكَ سَبَباً ، لِعِلْمِهَا أَنَّ الطَّرِيقَ مُسْتَقِيمَةٌ ، وَلَيْسَ هُنَالِكَ مَا يَحْجُبُ الضَّوْءَ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَذَهَبَتْ إِلَى مَكَانِهِ لِتَنْظُرَ مَا قَدْ جَرَى ، فَوَجَدَتْهُ قَدْ هَوَتْ بِهِ قَنْطَرَةٌ فَوَقَعَ فِي النَّهْرِ . وَكَانَتِ الصَّبِيَّةُ تَعْلَمُ أَنَّ قِطَارَ الرُّكَّابِ يَأْتِي بَعْدَهُ بِسَاعَةٍ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِلْمٌ بِسُقُوطِ الْقَنْطَرَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ . فَدَفَعَتْهَا الْمُرُوءَةُ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى الْمَحَطَّةِ ، وَإِعْلَانِ الْخَبَرِ ، رَغْمَ مَا يُصَادِفُهَا مِنَ الْأَخْطَارِ .

جَرَتِ الْفَتَاةُ فِي الظَّلَامِ ، حَتَّى أَدْرَكَتْ قَنْطَرَةً أُخْرَى ، لَيْسَ لَهَا تَفَارِيجُ عَلَى جَانِبَيْهَا ، وَكَانَتِ الرِّيحُ عَاصِفَةً شَدِيدَةً ، فَمَشَتْ مُكِبَّةً عَلَى يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا ، لِئَلَّا تَقْذِفَهَا الرِّيحُ إِلَى النَّهْرِ . ثُمَّ اعْتَدَلَتْ عِنْدَ مَا عَبَرَتْهَا ، وَأَسْرَعَتِ الْجَرْيَ إِلَى أَنْ بَلَغَتِ الْمَحَطَّةَ ، وَقَدْ نَهَكَهَا الْكَدُّ وَأَضْنَاهَا التَّعَبُ ، فَصَرَخَتْ قَائِلَةً : « أَوْقِفُوا الْقِطَارَ » ، ثُمَّ سَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا . فَأَكْبَرَ النَّاسُ عَمَلَهَا ، وَحَمَلَهَا

بَعْضُهُمْ إِلَى بَيْتِهَا ، وَأَوْقَفَ غَيْرُهُمُ الْقِطَارَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مَكَانَ الْقَنْطَرَةِ ، فَنَجَا رُكَّابُهُ بِهِمَّةِ هَذِهِ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ ، وَاكْتَتَبُوا بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ ، وَأَهْدَوْهُ لَهَا مُكَافَأَةً عَلَى مُرُوءَتِهَا وَشَجَاعَتِهَا .

٦٠ — رِجَالُ الْمَطَافِئِ

اَلْفَضَاءِ	عُدَّةٌ	اَللَّظَى	أَبْطَالٌ
اَلْعَطَبُ	كَهْلٌ	اَلْوُدُودُ	

قَدْ كُنْتُ فِي إِحْدَى ٱللَّيَالِي مَاشِيَا
وَٱلْبَدْرُ فِي أَعْلَى ٱلْفَضَاءِ زَاهِيَا
وَكَانَ يَشْكُو لِي رَفِيقِي حَالَهْ
حَتَّى بَلَغْنَا شَارِعَ ٱلْفَجَّالَهْ
وَلَمْ يَكَدْ يَأْتِي صَدِيقِي مَنْزِلَهْ
حَتَّى سَمِعْنَا ضَجَّةً وَزَلْزَلَهْ
وَصَوْتَ خَيْلٍ فِي ٱلْفَضَا تَسِيرُ
كَأَنَّهَا ٱلطَّيْرُ إِذَا يَطِيرُ
فَقُلْتُ مَا ذَلِكَ يَا رَفِيقِي
فَقَالَ تِلْكَ عُدَّةُ ٱلْحَرِيقِ
وَلَمْ نَكَدْ نُتِمُّ بَعْدُ قَوْلَنَا
حَتَّى رَأَيْنَا ٱلْكُلَّ صَارَ حَوْلَنَا
أَبْصَرْتُ فِيمَا بَيْنَهُمْ رِجَالَا
رِجَالَ بَأْسٍ فِي ٱللَّظَى أَبْطَالَا

يُخَاطِرُونَ بِالنُّفُوسِ فِي اللَّهَبْ
لِيُنْقِذُوا غَيْرَهُمُ مِنَ الْعَطَبْ
كَمْ أَنْقَذُوا مِنْ عَاجِزٍ وَطِفْلِ
وَامْرَأَةٍ مُسِنَّةٍ وَكَهْلِ
وَكَمْ حَمَوْا مِنْ أَنْفَسِ الْمَتَاعِ
مَا صَارَ لَوْلَاهُمْ إِلَى الضَّيَاعِ
فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْإِنْسَانِ
عَزْمُهُمُ أَمْضَى مِنَ النِّيرَانِ
لَهُمْ حَنَانُ الْمُشْفِقِ الْوَدُودِ
كَمَا لَهُمْ جَرَاءَةُ الْأُسُودِ

(المطالعة المصرية)

معانى الألفاظ الصعبة

ملاحظة — الألفاظ العامية مكتوبة بين قوسين

الصفحة	اللفظ	المعنى
٢١	الدُّمَى	جمع دُمْية وهى التماثيل الصغيرة
٢١	بَرْقَشَ	لوَّن بألوان متنوعة
٢٣	مَحَاكَةٌ	مكان الحياكة (معمل النسج)
٢٧	يَتَقَزَّزُ	يَشْمَئِزُّ (نفسه تَعِم عليه — يقْرَف)
٣٥	رَمَدَ	هلك من برد أو صقيع
٣٧	اَلْمَعَاوِلُ	جمع مِعْوَل وهو قضيب غليظ من الحديد ينقض به البناء
٣٧	اَلْمَسَاحِلُ	جمع مِسْحَل وهو المِبْرَد
٣٧	اَلْمِنْقَرُ	آلة لنقر الخشب وغيره
٣٧	أَفْدِنُ	أحرث بالفدَان وهو المحراث
٣٨	اَلْمَسَارِبُ	المجارى (المجارير)
٤٢	قَصَبَةٌ	المدينة فيها مركز الحكومة (العاصمة)

الصفحة	اللفظ	المعنى
٥١	ذَوْبٌ	شيء مذاب في الماء (محلول)
٥١	الصُّودَا	جسم كاوٍ أبيض
٦٨	مُجَصَّصٌ	مدهون بالجِصّ (مبيض)
٨١	السَّرَنْدِيبِيُّ	منسوب الى سَرَنْدِيبَ وهى جزيرة سَيلاَنَ
٨٧	نُفَّاخَةٌ	هَنَة فى جوف السمك ممتلئة هواء للسباحة
٨٧	فُلُوسُ السمك	قشرهُ
٩١	أَطْلَسُ	رمادى
٩٩	فَيْلَجٌ	ما يصنع منه الحرير تنسجه الدودة حول نفسها (الشرنقة)
١٠١	مِسْلَكَةٌ	خشبة يلف عليها الحرير
١٠٦	حُلَّةٌ	كساء مكون من قطعتين (بدلة)
١١٢	الشِّقْشِقَةُ	هَنَة تخرج من فَم الجمل (قلة)
١١٣	الْوَسْقُ	حمل سفينة أو غيرها (الشُّحْنَة)

تقريظ الكتاب

لحضرة الأستاذ صاحب الفضيلة الشيخ حمزه فتح الله

تلوت هذا الكتاب أجزاءه الأربعة تأليف ولَدَيْنا الجِهْبَذَين على عمر بك وعبد الفتاح صبرى بك المتأثّلين بالسودَد العادىّ (القديم) غير الأَقزم فألفيته على حداثة طريقتِه ووضوح مَحَجَّتِه أنجع وسيلة لتناول النَّشْء جَنَى موضوعِه وما كل حديث يعاب

ولست أعجب لسلاسة عباراته وتوخّى مؤلفَيه فى أساليبه مناسبةَ طلاَّبه وما يشوق قارئيه الى استيعابه فانها شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزم و إنما الخليق بأن يُتعجَّبَ منه ما تجشماه فيه من تقريب العامية من العربية مع صحة المبنى والمعنى وما أُتِيحَ لهما من ألفاظ عربية بدل العامية وضْعَ الهِنَاء مواضع النقَبِ و نِعمت الخدمة للغة الشريفة

ثم التدرج بما يناسب سن الطلبة وسِنِيهم بحيث لا ينتهون من السنة الرابعة إلا مُبَرِّزين على ذوى التجهيزيات بما انفرد به هذا الكتاب من فرائد الفوائد مابين أخلاق وآداب ومواعظ وعلوم وكونيات علوية وسفلية إلى غير ذلك مما يوافق خبرَه العيانُ وليس وراء العيان بيان فما أحرى مؤلفَيه بجميل الثناء وجزيل الدعاء

الفقير اليه عز شأنه
حمزه فتح الله

فهرس الكتاب